# البحر بيضحك ليه

قصص قصيرة

المؤلف : سمير لوبه
المجموعة القصصية : البحر بيضحك ليه
التصنيف الأدبي : قصص قصيرة
دار النشر : الوهيبي للنشر والطباعة والتوزيع
الاشراف الفني : ابن معيط للطباعة
رقم الإيداع : 11010 - 2022
الترقيم الدولي : 978 - 977 – 6989 – 32 -0
تدقيق ومراجعة لغوية : سمير لوبه
صورة الغلاف : الفنانة التشكيلية العراقية شفاء هادي
تصميم الغلاف : نورا محمود
التنسيق الداخلي : سمير لوبه

# البحر بيضحك ليه

## قصص قصيرة

بقلم

**سمير لوبه**

بسم الله الرحمن الرحيم

**إهــداء :**

إِلَىَ أبِي .. كُنْت أتَمَنَّى أَنْ يَمتَدَّ بِك العُمرُ
لِتَرَىَ اسمَك عَلَىَ كِتَابَاتِي يُتَوِجُ اسمَي .

# مقدمة :

إنَّ غايةَ المبدعِ خلقُ تجربةٍ جماليةٍ ومُبدعةٍ ، يكسرُ فيها التقليدَ ، لذا يجِبُ أن يتمتّعَ بالأفكارِ الخلَّاقةِ والإبْداعِ المتناميِ في الفكرِ والأُسلوبِ ، و قوّةِ الملاحظةِ والرؤيةِ الناقدةِ والتفكيرِ العميقِ ، يرصدُ المُجْتمعَ حَوْله ؛ يحلّلُ قضاياه الاجتماعيةَ والفكريةَ والإنسانيةَ ؛ ليكتبَ عنها .

سمير لوبه

## تقديم :

في ذلك التقديمِ مُلَخصٌ لآرَاءِ كَوكَبَةٍ مِنَ الأُدَبَاءِ وَ النُّقَّادِ العَرَب فِي المَجمُوعَةِ القصَصِيَةِ " البحر بيضحك ليه " التِي بَينَ أيدِيكُمْ الآنَ حيثُ قالوا : " تُقَاسُ جَودَةُ النَّصِّ السَّردِي بمَدَى تَصوِيرِه لِهُمومِ مُجتَمعِه وتَعبِيرِه عَنْ الإنسَانِ والصِرَاعِ مِنْ أجلِ الحَيَاةِ ، لِذَا فالقَلَمُ والفِكْرُ لَهمَا التَأثِيرُ البَالِغُ فِيْ تَغييرِ المُجتَمعَاتِ ومُستَوى الأفكَارِ والأخلَاقِ ، وَقَدْ جَاءَتْ القِصَصَ فِي هَذِه المَجمُوعَةِ تَحتَمِلُ كُلَ التَّأويلاتِ ، فهِيَ تُسقِطُ عَلىَ عُمُومِ وشُمُوليةِ حَالِ المُجتَمَعِ ، وهُنَا يُصبِحُ الأَدَبُ مِرآةً لِمَوَاجِعِ المُجتَمَعِ ، النُّصُوصُ كَثِيفَةُ الدَّلَالَةِ تَطرَحُ الشُّرُوخَ المُتَّسِعَةَ فِي ظِلِ الانحِلَالِ الأخلَاقِي عَبرَ نَسيجٍ لُغَوِي مُحكَمٍ ورَصِينٍ يَجذِبُ المُتَلَقِيَ الشَّغُوفَ بِدفءٍ ، فيُمكنُه تَلوِينَه بمُعظَمِ أَلوَانِ الطَّيفِ و بلُغَةٍ تَغُوصُ فِي المَعنَى والأثَرِ ، ورَسْمِ الأحدَاثِ بأُسلُوبٍ غَايةٍ فِي الدِّقَّةِ كَأنَّمَا نَحنُ أمَامَ لَوحَةٍ وَاقِعِيةٍ ، النَّسِيجُ اللُغَوِي لِلقِصَصِ يَتكَوَنُ مِنْ جُمَلٍ قَصِيرَةٍ ومُكَّثَفَةٍ مَوسُومَةٍ بِالتَّوَتُرِ وتَأزُمِ المَوَاقِفِ لَكِنْ تُسَهِلُ عَمَلِيَةَ القِرَاءَةِ ، وتَمتَازُ بِالتَشوِيقِ وسُهُولَةِ مُتَابَعَةِ الأحدَاثِ ، بِأُسلُوبٍ و مُفرَدَاتٍ وتَعَابِيرٍ شَفَّافَةٍ دُونَ إسهَابٍ ، فتَأخُذَنَا إلىَ نِهَايةٍ رُبَّمَا تَكُونُ مُتَوَقَعَةً وفِي الغَالِبَ تَكُونُ صَادِمَةً ومُؤثِرَةً .

**المؤلف سمير لوبه**

# ( 1 ) البـــدايــة

عِندَما تَقِفُ عَلَى مَآسِي الآخَرِين وانكِسَارِهِمْ إِيَاكَ أنْ تَبتَسِمَ ، تَأدَب فِي حَضرَةِ الجُرحِ .. كُنْ إِنسَانًا أو مُتْ وأنتَ تُحَاوِلُ . "

ليو تولستوي

## ( 2 ) فرق توقيت

يَنزِفُ لِسَانُه دَعَوَاتٍ اعتَادَهَا
، يَشتَعِلُ الضَّوءُ الأخضَرُ ،
تَحتَرِقُ أنفَاسُه ؛
فلمْ تَنَلْ كَفُّه سِوىَ الرِّيحِ ،
اكْتَوَت عَيناه بإشَارَاتِ الرَّفضِ
ونَظَرَاتِ الاستِنكَارِ ،
يَعودُ لرَصِيفِ الانتِظارِ ،
يُصَارِعُ أمواَجَ البَقَاءِ

# فرق توقيت

عَلَى رَصِيفٍ بَلَّلَتَه دَمعَاتُ الغَيْمِ يَقبَعُ مُنكَمِشاً ، يُصَارِعُ أمواَجَ الانتِظَارِ العَاتِيةَ مَرمِياً دَاخِلَ كَومَةِ مَلَابِسِ بَالِيَةٍ ، يَسأَلُهَا الدِفْءَ فلَا تَكتَرِثُ لتَوسلَاتِه ، يَتَشَبَثُ بِفوطَةٍ صَفرَاءَ اعتَلَاهَا سَوَادُ مَهَانَةِ السُّؤَالِ ، تَعوِي السَّيَارَاتُ ، تَعدُو ، تَلتَهِمُ الأسفَلتَ بِنَهمٍ ، تَتَعَلَقُ عَينَاه بِالمِصبَاحِ تَرقُبُ فِي شَغَفٍ بُزُوغَ الضَّوءِ الأحمَرِ ، تَبحَثُ كَفُّه دَاخِلَ جَيبِه عَمَّا يُوَفِرُ لجَسَدِه الوَاهِنِ طَعَامًا يَستَقوِي بِه عَلَى صَقِيعِ الأيَامِ القَاحِلَةِ فَتخرُجُ خَاوِيةً ، أخِيرَاً يَبزُغُ النُّورُ الأحمَرُ ؛ مُنطَلِقًا يَكَادُ يَطِيرُ فَوقَ الأسفَلتِ ، يَحُطُّ عَلَى زُجَاجِ السَّيَارَاتِ يَمسَحُهَا ، يَنزِفُ لِسَانُه دَعَوَاتٍ اعتَادَهَا ، يَشتَعِلُ الضَّوءُ الأخضَرُ ، تَحتَرِقُ أنفَاسُه ؛ فلمْ تَنَلْ كَفُّه سِوىَ الرِّيحِ ، اكْتَوَت عَيناه بإشَارَاتِ الرَّفضِ ونَظَرَاتِ الاستِنكَارِ ، يَعودُ لرَصِيفِ الانتِظارِ ، يُصَارِعُ أمواَجَ البَقَاءِ ، وفِي المَحِلِ المُتَاخِمُ للرَّصِيفِ :

- فليَخرُجْ أحدُكمْ ويُبعِدُ هذا الجَالِسَ أمَامَ المَحِلِ
- أمرُك مَعَالي البَاشَا

وعَلَى الرَّصِيفِ المُقَابِلِ لَمْ تَختَلِفْ الحَالُ :

- ابعِدوا هذا الجَالِسَ عَلَى الرَّصِيفِ عَنْ سَيَارَتِي

- أمرُك سَعَادَةُ البِيه

يَتَنَقَلُ بَينَ ذلك الرَّصِيفِ وذَاك صَفرَ اليَدَينِ ، تَصفَعُ الرِّيَاحُ الشَّوَارِعَ ، تَدمَعُ الغَيمَاتُ الدَّاكِنَةُ ، أعيَاه الجُوعُ ، يَقهَرُه الانتِظَارِ ، يَحُطُّ عَلَىَ الرَّصِيفِ بجَسَدِه ، تَسقُطُ هَامَتُه بَينَ رُكْبَتَيه ، تُلَاصِقُ عَينَاه الأسفَلتَ الأسوَدَ ، يَرحَلُ نَهَارٌ لَمْ تُعَانِقْه شَمْسٌ قَطْ ؛ ليَأتِيَ لَيلٌ فِي مَلابِسِ الحِدَادِ ، تَتَوَقَفُ لِجوَارِه سَيَارَةٌ تَبرُزُ مِنهَا يَدٌ بِوَرقةٍ تَستَطِيعُ أنْ تُؤَمِنَ لبَطنِه الخَاوِيةِ اليَومَ طَعَامًا ، يَلتَقِطُهَا ، يَتَأَمَلُهَا ، تَتَهَلَلُ أسَارِيرُه ، يُسرِعُ نَاظِرَاً للسَّمَاءِ ، يَلطُمُ الضَّوءُ الأخضَرُ السيَارَاتِ فتَنطَلِقُ ، تُخَضِّبُ دِمَاؤه الحَمرَاءُ رَصِيفَ الانتِظَارِ ، تَسِيلُ عَلَىَ الأسفَلتِ الأسوَدِ ربَّمَا وَجَدَت تَحتَه الدِفْءَ ، تَحمِلُ جُثَتَه عَرَبَةُ الإسعَافِ ، تَمضِي ، تُبَعثِرُ الرِّيَاحُ أقدَامَ المَارَةِ عَلَىَ الرَّصِيفِ ، تَعوِي السَّيَارَاتُ ، تَعدُو تَلتَهِمُ الأسفَلتَ اِلتِهَامًا ، وعَلَىَ بَابِ المَحِلِ يَقفُ مَالِكُه يُدَاعِبُ كَلبَه المُدَلَلَ يُنَادِي :

- فليَخرُجْ أحَدُكمْ ليُنَظِفَ الرَّصِيفَ
- أمرُك مَعَالي البَاشَا

## ( 3 ) ظمأى

تناجيه في فراغِ الصمتِ
بوجدانٍ تتقاذفُ شظاياه الملتهبةُ ؛
تحرقُ فؤادها ،
تثورُ حناياها ؛
شوقاً لعناقِه الدافئ

# ظمأى

في ليلةٍ أخرى من لياليها الباردةِ المكررةِ ، أمام المرآةِ هائمةً ، يخفتُ ضوءُ الحياةِ في روحِها ، تقطفُ عيناها بداياتِ الشيبِ ، ترمي بناظريها صفحةَ المرآةِ سابحةً فيها ، تغوصُ في أعماقِ عينيها ، تنتابُها الآلامُ ذاتها ، لا تغادرُ سماءها غيومُ الأسى الملبدةُ ، يتحجرُ الدمعُ في مقلتيها ، تتمزقُ روحُها أشلاءً ، في توقٍ تنتظرُ حضورَه ؛ ليعزفَ على أوتارِ حنينِها الجارفِ ، ويسكبُ في كبدِها عواطفَه ، ينسابُ في مسامعِها صدى صوتِه الحاني ، تناجيه في فراغِ الصمتِ بوجدانٍ تتقاذفُ شظاياه الملتهبةُ ؛ تحرقُ فؤادَها ، تثورُ حناياها شوقاً لعناقِه الدافئ ، يحرقُ مهجتَها جمرُ الحنينِ ، يؤرقُها لظى الاشتياقِ ، ليتهشمَ ما تبقى في ضلوعِها المحطمةِ ، تناجي طيفَه دونَ جدوى ، يضاجعُها الأنينُ وألمُ الفراقِ ، تضيعُ في دوامةِ القدرِ ظمأى ، لا يروي عينيها لقاءٌ ، يدقُ نبضُها عظامَ الضلوعِ ، ترنو للأفقِ ، ترهفُ السمعَ ، تتبعُ قوافلَ الصمتِ في دروبِ حياتِها القاحلةِ وسطَ عواصفِ الحرمانِ المبعثرةِ ، يقتلُها ظمأُ الانتظارِ ، تتعجلُ اللقاءَ ...

رؤوسٌ تتلاصقُ ، عيونٌ تتفحصُ ، همهماتٌ تتشابكُ :

- إنه جسدٌ قد فارق الحياةَ .

## ( 4 ) راجي عفو الخلَّاق

بحنوٍ يمسحُ مرآتَه
يؤلمُه ذلك الشرخُ الذي ازدادَ فيها ،
تَغفُو في أحضانِها أدواتُ الحلاقةِ صامتةً
، يقابلُ المرآةَ الكرسي العتيقُ

# راجي عفو الخلَّاق

الأسطى نعيم الحلاقُ بأقدامٍ متثاقلةٍ تزحفُ لثقلِ ما يحمله جسدٌ أرهقه شقاءُ السنين ، يقطعُ المسافاتِ المعتادةَ لدكانِه ، يفتحُ بابَ الصالونِ الخشبي ، وفي المرآةِ يصافحُ وجهًا عاشَ فصولَه الأربعةَ ، بحنوٍ يمسحُ مرآتَه يؤلمُه ذلك الشرخُ الذي ازدادَ فيها ، تَغفُو في أحضانِها أدواتُ الحلاقةِ صامتةً ، يقابلُ المرآةَ الكرسي العتيقُ ، وعلَى الكرسي الخشبي يضعُ رأسَه في راحتِه يسترقُ النظرَ لذكرياتٍ تبتلعُه في هوتِها ، ينظرُ لصورتِه في الحُلَةِ التي حاكَها يومَ شاهدَها علَى " أنور وجدي " في فيلمٍ سينمائي ، يُصَفِّدُ في حسراتِه علَى زمنٍ جميلٍ كان صالونُه يضجُ بالأنوارِ، يقضي يومَه أمامَ الدكانِ ينظرُ في العيونِ يرجوها بابتسامتِه العريضةِ فلا يفوزُ بتبسُّمٍ أو سلامٍ ؛ فقد طوى الماضي صفحاتِ زمانِه ، خفتت الأنوارُ في الصالونِ ساده الصمتُ إلَّا من راديو خشبي عتيقٍ يبثُّ حنينًا لا ينضبُ .. يأملُ أن يخطو عتبةَ دكانِه زبونٌ يعيدُ لمرآتِه الحياةَ ، كُلما مرَّ عليه المارون ابتسمَ لهم ابتسامةً مغلفةً بالرجاءِ فلا يعيرُونه التفاتًا ، يدخلُ دكانَه العتيقَ يعدو في مروجِ الذكرياتِ ، تلتصقُ عيناه بمرآتِه يعتصرُه اتساعُ الشرخِ ألمًا ، يخيمُ الليلُ الكئيبُ ، وإذْ فجأةً تنهارُ مرآتُه علَى الأرضِ كِسَفًا ، فذهب كلُ ما تبقَى به معَها ، يغلقُ البابَ ، وللأرضِ يرمي المفتاحَ ..

عبرَ الطرقاتِ وقدْ انهارت روحُه كِسَفًا ؛ تبللُ الدموعُ شفتيه المبتسمتين للناسِ .. ترميه العيونُ ملفوظًا في غياهبِ التجاهلِ .

## ( 5 ) بئر ريان

تبتسمُ لها فِي المرآةِ صورتُها ،
تحلقُ بها فِي آفاقِ الخيالِ الوردي ،
وفِي سمائه تطيرُ بها إلى الحديقةِ المشمسةِ
تلهو مع الفراشاتِ بينَ الزهراتِ اليانعاتِ

**نشرت في جريدة الأهرام العدد 49410**

**بتاريخ الجمعة 18 مارس 2022**

# بئر ريان

فِي مَدخلِ العمارةِ تشبُّ بأقدامِها تمطُّ رقبتَها كي تطالَ المرآةَ الكبيرةَ ، تبتسمُ لها فِي المرآةِ صورتُها ، تحلقُ بها فِي آفاقِ الخيالِ الوردي ، وفِي سمائه تطيرُ بها إلى الحديقةِ المشمسةِ تلهو مع الفراشاتِ بينَ الزهراتِ اليانعاتِ ، أو إلى شقةٍ تسعُ أحلامَها ذات نوافذٍ مشمسةٍ وشرفةٍ خضراءِ تلعبُ فيها مع الدمى وبالألوانِ ترسمُ ، تجري إلى البيانو تعزفُ موسيقى السعادةِ .. يخطفُها من المرآةِ سعالٌ يلطمُ أذنيها ، تستديرُ فترى ظهرَ أمِها المنحنيةِ على أرضيةِ مدخلِ العمارةِ تمسحُها ، تقتربُ من بابِ العمارةِ ينهاها برفقٍ أبوها المنهمكُ في مسحِ السياراتِ بصعوبةٍ يؤرقُه سعالُه الجافُ يبللُ العرقُ جبينَه رُغمَ برودةِ الجوِ ؛ فلمْ تبزغْ الشمسُ بعدْ ، تعودُ للمرآةِ تضعُ وجهَها فيها ؛ كي تظهرَ صورتُها الباسمةُ ، وفِي سماءِ خيالِها تطيرُ بها لتلهو مع الفراشاتِ .. تناديها أمُها وبابتسامةٍ حلوةٍ تناولُها تفاحةً أحضرها لها أبوها ، يعاودُها السعالُ الذي طال أيامًا يسقطُها أرضًا ، تغادرُ صورتَها الباسمةَ ، تهرعُ مع أبيها للأمِ ، يدخلون لحجرتِهم الضيقةِ خلفَ المصعدِ ، تعودُ للمرآةِ تشبُّ بأقدامِها تجدُ صورتَها باكيةً ، وفِي المساءِ يشتدُّ سعالُ أبويها يؤرقُ نومَها ، يدخلُ رجلان في ملابسٍ صفراءِ لا يظهرُ منهم سوى العيونِ ، يصطحبان أمَها وأباها ، ولأولِ مرةٍ تبيتُ وحدَها ؛ غابت الأمُ التي كانت تمشطُ شعرَها وتطعمُها فتنامُ فِي هناءةٍ ودفءٍ ، ذهبَ الأبُ الذي كان يداعبُها ويحضرُ لها التفاحةَ ، يأتي رجلٌ وامرأةٌ غريبان يشاركونها الحجرةَ ، لا يأبهون لبرودةِ واقعِها القاتمِ ، تذهبُ للمرآةِ تطلبُ منها أن تمشطُ لها شعرَها المهوشَ أو تعطيها تفاحةً ، تنهرُها تلك التي تمسحُ الأرضيةَ كي تبتعدَ عن المرآةِ ، تقفُ على بابِ العمارةِ ترغبُ فِي مغادرةِ خشونةِ واقعِها الفظِ ؛ لتبحثَ عن أمِها وأبيها ، لا ينهاها ذلك الذي يمسحُ السياراتِ ، تشتدُّ برودةُ الجوِ لمْ تبزغْ الشمسُ بعدْ ، على الرصيفِ حافيةً تبتلعُها الشوارعُ تفقدُ بوصلةَ الطريقِ ، تفترشُ أحدُ الأرصفةِ يدقُّ البردُ عظامَها يمزقُ أحشاءها الجوعُ ، تمرُّ طفلةٌ برفقةِ رجلٍ وامرأةٍ تسقطُ من يدِها تفاحتُها فتبكي ، يلقي أبوها كمامتَه الزرقاءَ يناولُها تفاحةً جديدةً ، تحتضنُها أمُها تربتُ عليها بحنوٍ ويمضون ، تطيرُ للتفاحةِ التي استقرت بجوارِ الحافلةِ تلتقطُها .. صراخٌ وعويلٌ يصمُّ آذانَها ، وتحتَ عجلاتِ الحافلةِ التي ترجعُ للخلفِ اعتصرت التفاحةُ بدمائها تخضبُ الكمامةَ الزرقاءَ .

## ( 6 ) الرحلة

ربانٌ ماهرٌ
تشقُّ سفينتُه عبابَ الحياةِ
، عنْ الكنزِ المفقودِ يبحثُ
، سندباد يجوبُ البحارَ
يرسو في المرافئ

# الرحلة

فِي المُستشفَى العامِ يرتدي ثوبَ المشيبِ ، صوتُ صفيرٍ متقطعٍ تسيلُ عيناه الناعستان على الستائرِ الزرقاءِ ، عبرَ أنبوبٍ تمصُ رئتاه الحياةَ ، تفترُّ شفتا الذكرياتِ عن بسمةٍ حلوةٍ يومَ امتطى صهوةَ جوادِه بينَ أروقةِ الصفحاتِ ، تجرُّ عربتَه الأيائلُ يرمي بقوسِ أرتميس حروفًا فضيةً تصيبُ أهدافَها ، يرسمُ كلماتِه نقشًا فرعونيًا لم تمحْه النيرانُ يومَ اندلعت والتهمت المدينةَ ، ربانٌ ماهرٌ تشقُّ سفينتُه عبابَ الحياةِ ، عنْ الكنزِ المفقودِ يبحثُ ، سندباد يجوبُ البحارَ يرسو فِي المرافئ ينشرُ أوراقَه على جسدِ القاراتِ ينثرُها على عواصمِ الأرضِ ، يحملُ أحلامَ الوطنِ وآلامَه تجعلُ منه بركانًا يفيضُ دموعًا تبكي الإنسانَ شقاءه ، بينَ متاهاتِ السطورِ تصرخُ الحروفُ تئنُّ الكلماتُ وللمدينةِ الفاضلةِ تركضُ ، يحصي ما خطَّت يمينُه ورقًا فِي ورقٍ يحملُ عناوينَ ختمها النسيانُ بالشمعِ الأحمرِ خبأها فِي صندوقٍ ألقاه فِي اليَمِّ فليس للأسماكِ ذاكرةٌ ، بينَ أضبةِ الماضي يمتصُّه الحنينُ ، بداخلِه بكاءُ طفلٍ ضاعت منه الدروبُ ، لا يخشى الآنَ إنْ كان فوقَ الأرضِ حيًا أو ثاويًا تحتَ ترابِها ، على الكرسي بجوارِه يمدُّ الطبيبُ يدَه لا لتصافحَه بل لتجسَّ نبضَه ، اليومَ يستكينُ القلبُ الذي طالمَا خفق ، صوتُ صفيرٍ مستمرٍ

ما بكاه غيرُ قلمِه .

## ( 7 ) بروميثيوس صامدًا

مهرةٌ في مقتبلِ الشبابِ ونضرتِه
مصفدةٌ في صخرةِ الواقعِ العاتيةِ ،
تشتدُّ عليها النقمةُ
تنهشُها مخالبُ الحرمانِ

# بروميثيوس صامدًا

صبيةٌ بينَ عاملاتِ الترحيلةِ في خضرةِ الحقولِ تداعبُ شمسُ النهارِ جبينَها الوردي .. تضحكُ لها ، تبللُ زخاتُ المطرِ حريرَ شعرِها .. تلهو تحتَها ، مثل قريناتِها بميثاقٍ عُرفِيٍ لجارِها يربطُهما الأهلُ ، تدورُ بهما رحى العيشِ ، يسوقُهما الركضُ لحجرةٍ ضيقةٍ في المدينةِ الواسعةِ ، مهرةٌ في مقتبلِ الشبابِ ونضرتِه مصفدةٌ في صخرةِ الواقعِ العاتيةِ ، تشتدُّ عليها النقمةُ تنهشُها مخالبُ الحرمانِ ؛ يومَ غضبت عليها الأيامُ وأخبروها مصرعَ زوجِها في غِمارِ العيشِ ، جوعى في خرائبِ الليالي الباردةِ ؛ ظمأى غابت عنها شمسُ النهارِ ، ضاعت منها حتى زخاتِ المطرِ ، يعتصرُ قلبَها صوتُ صغيريها الواهنُ

- ماما نفسي في حاجة حلوة

بدموعِها تجيبُ :

- حاضر يا نور عينيا

بكاءُ صغيريها حاضرٌ بقوةٍ يطاردُ مسامعَها يمزقُ أحشاءَها وعليها الاختيارُ .. إلى المضمارِ تسعى وحدَها

اختارت المسارَ طوعًا دونَ ترددٍ ، في كلِ يومِ ترتدي الجلبابَ الأسودَ و بجرأةٍ رافعةً رأسَها قائمةً ظهرَها و بصوتٍ نَسوي صارخٍ يصفعُ صمتَ الجدرانِ

- أمسح السلالم

لِحضنِ صغارِها تسعى حاملةً الخبزَ وما يشتهون ..

تداعبُ الشمسُ عرقَ جبينَها ، يبللُ جلبابَها الماءُ الكَدرُ وسامًا يزينُ صمودَها .

## ( 8 ) حارة سد

تَبحثُ لنَفسِهَا عَنْ مَكَانٍ
تُلقِي فِيه جَسَدَهَا ؛
ليُضَاجِعَهَا النَّومُ
فِي مَشهَدٍ تُصرّرُ اللَّيَالِي الحَالِكَةُ
عَلَىَ تِكْرَارِه دُونَ مَلَلٍ ،

## حارة سد

لُقيمَاتٌ بَارِدَةٌ هِي كُلُ مَا تَبَقَّى ، تَلتَقِطُهَا أصَابِعُهَا النَّحِيفَةُ ؛ تَمسَحُ طَبَقَاً وَحِيداً رُبَّمَا نَالَت مِنْه بَقَايَا غُمُوسٍ بَعدَ صِرَاعِ أيَادِي أربَعَةِ أُخوَةٍ وأبٍ فِي جَسدٍ مُتهَاوٍ عَلَى طعَامِ اليَومِ ، تَنهَلُ مَاءَ الإنَاءِ الكَبِيرِ ؛ يَملَأ مَعِدَتَهَا الصَّارِخَةَ جُوعًا ، تُقَيدُهم أرضيَةُ الحُجرَةِ الضَّيقَةِ ، يَغتَصِبُ أجسَادَهمْ النَّومُ ، تَبحثُ لنَفسِهَا عَنْ مَكَانٍ تُلقِي فِيه جَسَدَهَا ؛ ليُضَاجِعَهَا النَّومُ فِي مَشهَدٍ تُصّرُ اللَّيَالِي الحَالِكَةُ عَلَى تِكْرَارِه دُونَ مَلَلٍ ، يَنبَعِثُ صَوتُ أمِهَا الوَاهِنُ :

- ربنَا يُسعِدُك يَا " أمل "

ومَعَ بُزُوغِ النُّورِ تَستَيقِظُ فِي يَدِهَا لُفَافَةُ الخَيطِ تَرتُقُ ثَوبَهَا الأسوَدَ ، تَرتَدِيه وتَنطَلِقُ للمَصنَعِ الصَّغِيرِ الذِي امتَصَّ رَحِيقَ أُمِهَا وأقعَدَهَا ذَابِلةً ، يَخرُجُ الأبُ يَصحَبُه " سعيد " جَارُها ؛ يَفتَرِشَان رَصِيفَ نَاصِيةِ الشَّارِعِ الرَئيسِ رُبَّمَا استَدعَاهمَا أحَدُهمْ لأعمالٍ مؤقتةٍ ؛ فَيَنَالَا رِزْقَ يَومِهمَا

يُرخِي اللَّيلُ أستَارَه ؛ تَزحَفُ الأقدَامُ إِلَى البيُوتِ المُتَهَالِكَةِ ، وبِطَبَقِ غُمُوسٍ وبِضعَةِ أَرغِفَةٍ يُسكِتُون صُرَاخَ بُطُونِهمْ ، وبِأَصَابِعِهَا النَّحِيفَةِ تَمسَحُ بِلُقَيمَاتٍ الطَّبَقَ ، تَسدُّ فَرَاغَ مَعِدَتِهَا ، تَملَأ خَوَاءَهَا بِماءِ الإنَاءِ ، تُلقِي بِجَسَدِهَا المُتَهَاوِي لِلنَّومِ ..

زَغَارِيدٌ تُجَلْجِلُ ، أغَانِي تَصدَحُ ، " أمل " إِلَى جوارِ " سعيد " مُبتَهِجَةً فِي ثَوبِهَا الأبيَضِ ، الجَمِيعُ تُكَلِلُهمْ الفَرحَةُ ...

فِي المَسَاءِ تَلتَقِطُ أصَابِعُهَا النَّحِيفَةُ لُقَيمَاتٍ ؛ تَلتَمِسُ فِي الطَّبَقِ الوَحِيدِ غُمُوسًا بَعدَ أنْ أكَلَ " سعيد " وصِغَارُهَا الأربَعَةُ ، يَملَأ مَعِدَتَهَا الخَاوِيةَ مَاءُ الإنَاءِ

يَنبَعِثُ صَوتُ " سعيد " الوَاهِنُ :

- ربنَا يُسعِدُك يَا " أمل"

ومَعَ بُزُوغِ النُّورِ لَا تَجِدُ مَا تَرتُقُ بِه ثَوبَهَا الأسوَدَ ؛ فالخَيطُ نَفَد ، تَرتَدِيه عَلَى حَالِه ، تَنطَلِقُ لِلمَصنَعِ يَمتَصُ رَحِيقَهَا ، ومَعَ حُلُولِ اللَّيلِ تَأتِي حَامِلَةً الغُمُوسِ وبِضعَةِ أرغِفَةٍ ، تَزحَفُ أقدَامُهَا المُتَهَالِكَةُ ؛ تَبتَلِعُهَا الحَارَةُ السَدُ .

## ( 9 ) اغتراب

تَتَعلقُ عَينَاه بأحذِيةِ المَارَةِ والجَالسين
بَينَمَا ذِهنُه شَارِدٌ بَعيداً عَنْ صَخبِ المَدِينَةِ
فيَرَى الفَأسَ فِي يَدِه
وقَدْ امتَلأت رِئتَاه بالهَواءِ المُنعِشِ

# اغتراب

علَى رَصيفِ المَقهَى المُترَبِ تَحتَ وطأةِ الشَّمسِ المُحرِقةِ ، جَلسَ يتجَرَعُ كُوبًا مِن شَاي أسوَدٍ مُرٍ ثَمنًا لجلُوسِه ، يَضعُ أمَامَه صُندوقَ البُويَةِ ، تَتَعلقُ عَينَاه بأحذِيةِ المَارَةِ والجَالسين بَينَمَا ذِهنُه شَارِدٌ بَعيداً عَنْ صَخبِ المَدِينَةِ ، فيَرَى الفَأسَ فِي يَدِه ، وقَدْ امتَلأت رِئتَاه بالهَواءِ المُنعِشِ فِي الأَرضِ الخَضرَاءِ ، يهِبُها عَرقَه ، ويعودُ بخَيرِها لبَيتِه الرّيفِي البَسيطِ

يُنَادِيه أحَدُهمْ فِي لَهجَةِ استِعلاَءٍ :

- خُد يَا ابنِي لَمَّعْ لِيَّ الجَزْمَة

يَقفِزُ فِي هِمةٍ مُنحَنياً يَلتقِطُ قُوتَ يَومِه ، يَمسَحُ الحِذَاءَ بِحمَاسٍ ، يَتسَاقَطُ عَرقُ جَبينِه علَى جِلبَابِه المُلَطخِ بتُرَابِ الأحذِيةِ ، يتناولُ كُوبَ الشَّاي بأصابعٍ مَصبُوغَةٍ بسوادِ الوَرنِيشِ ، تَقتَحمُ فَتحاتِ أنفِه رَائحةُ الأصبَاغِ مَمزُوجةً بروائحِ الأحذِيَةِ ،يَنتَهي عَملُ اليَومِ ، تَرتَسمُ علَى قَسمَاتِ وَجهِه صنُوفِ التَعبِ ، يَعودُ إلَى حَيثُ يَبِيتُ فِي حُجرَةٍ مُتَهَالِكةٍ مع أقرانِه ، يَلُوكُ طعَامَه البَسيطَ ، يُؤَرِقُه السُّؤالُ المُعتادُ

- مَتى أعودُ لعائلَتِي وبَيتِي ؟

لقَدْ مَزَقَه الحَنينُ للأرضِ الطيبَةِ ؛ يُقرِرُ أنْ يَعُود لها وليكُنْ مَا يكُونُ ، فحتمًا لنْ تتَخلَى عَنه السَّماءُ ،يضعُ رأسَه علَى الوِسَادةِ المُهترِئةِ مُمَدِدًا جَسَدَه علَى الأرضِ القَاسِيةِ مُلتَحِفًا بِملاءةٍ رَثةٍ ، قَدْ ارتَاحت نفسُه واستكَانت روحُه ؛ فغدًا يعودُ لأحضَانِ عَائلتِه فترتَوي عَيناه ، يَغُطُّ فِي نومٍ عَميقٍ ..

وفِي نُسخةٍ مُكرَرَةٍ مِنْ أيامِه مَع المَدينةِ الصَّاخِبةِ ، يستَيقِظُ يَحمِلُ صُندُوقَه ، يَمضِي مُهرولاً ، وعلَى رَصِيفِ المَقهَى تَحتَ نفسِ الشَّمسِ فَوقَ نفسِ التُّرَابِ يَعيشُ فِي اغترَابٍ ، يتَجَرَعُ كُوبًا مِن شَاي أسوَدٍ مُرٍ ، أمَامَه صُندُوقَ البُويَةِ ، تتَعلقُ عَيناه بأحذِيةِ المَارَةِ والجَالسين بَينَمَا ذِهنُه شَارِدٌ بَعيداً عَن صَخَبِ المَدِينَةِ ، فيَرَى الفأسَ فِي يَدِه وقَدْ امتَلأت رِئتَاه بالهَواءِ المُنعِشِ للأرضِ الطَّيبَةِ ، يَمزِجُ تُرَابَها الحَانِي بعَرقِه ، يحمِلُ شَهدَها ويعودُ لحِضنِ عائلَتِه فترتَوِي روحُه .

## ( 10 ) كيس سكر

يأتي الفيلُ وفي غَفلَةٍ مِنَ القُرُودِ
يَسرِقُ كِيسَ السُّكَّرِ
ويُخْفِيه فَوقَ ظَهرِه العَالِي
؛ فلَا يَرَاه أحَدٌ

# كيس سكر

وفِي لَيلَةٍ عَاصِفَةٍ يَمُرُّ " بَيدَبَا " بِالنَّاسِ وقَدْ جَاعُوا يَحمِلُ القِرطَاسَ والقَلَمَ ، فأحضَرَ المِحبَرَةَ وكَتَبَ إلَى المَلِكِ " دبشليم " : يُحكَى أيُها المَلِكُ أنَّه فِي غَابَتِنا اجتَهدَت جَمَاعةُ القُرُودِ فِي جَمعِ ثِمَارِ الجَوزِ فنَالَ كُلُ قِردٍ أجرَه حِفنَةً مِنَ السُّكَّرِ ، أشَارَ حَكِيمُهمْ بِجَمعِ السُّكَّرِ فِي كِيسٍ ووَضعِه فِي خِزَانَةِ لِيُعِينَهمْ علَى أيَامِ الجُوعِ ،تَمُرُّ نَملَةٌ أضنَاهَا الجُوعُ ؛ تَبحَثُ عَنْ طَعَامٍ لِصِغَارِها فتَجِدُ حَبَةَ سُكَّرٍ استَطَاعَت بِكَدٍ وجَهدٍ حَملَها ، يَأتِي الفِيلُ وفِي غَفلَةٍ مِنَ القُرُودِ يَسرِقُ كِيسَ السُّكَّرِ ويُخْفِيه فَوقَ ظَهرِه العَالِي ؛ فلَا يَرَاه أحَدٌ ، هَاجَت القِرَدَةُ ومَاجَت

- أينَ السُّكَّرُ ؟
- سُرِق كيسُ السُّكَّرِ
- لَابُدَّ مِنَ التَّعَرُفِ عَلَى السَّارِقِ ومُعَاقَبَتِه

يُقَدِّمُون للثَّعلَبِ بَلَاغًا بِالواقِعَةِ ، يَتَعَهدُ لَهمْ بِسُرعَةِ القَبضِ عَلَى السَّارِقِ ومُحَاكَمَتِه ، تُخبِرُ الغِربَانُ الثَّعلَبَ أنَّها قَدْ رَأت حَبَةَ سُكَّرٍ مَعَ النَّملَةِ ، وعَلَى الفَورِ يُلقِي الثَّعلَبُ القَبضَ عَلَى النَّملَةِ بِتُهمَةِ السَّرِقَةِ ، ويُعلَنُ فِي الغَابَةِ عَنْ القَبضِ عَلَى عِصَابَةِ سَرِقَةِ السُّكَّرِ ، وتُلقَى النَّملَةُ فِي السِّجنِ إنصَافًا للعَدَالَةِ وتَطهِيرًا لِلغَابَةِ مِنَ اللُّصُوص .

الزَّرَافَةُ رَأت كِيسَ السُّكَّرِ عَلَى ظَهرِ الفِيلِ ؛ تَتَقدَّمُ بِبَلَاغٍ لِلثعلَبِ :

- النَّملَةُ بَرِيئَةٌ والفِيلُ هُوَ السَّارِقُ

فِي الغَابَةِ يُوَزِعُ الفِيلُ عَلَى كُلِ قِردٍ جَائعٍ حَبَّاتٍ مِنْ سُكَّرٍ ؛ تَشكُرُه القِرَدَةُ عَلَى كَرَمِه وتَدعُو لَه بِطُولِ العُمرِ ، وتَمَّ إيدَاعُ الزَّرَافَةِ فِي السِّجنِ بِتُهمَةِ البَلَاغِ الكَاذِبِ .

ضَحِكَ " دبشليم " حَتَّى استَلقَى عَلَى قَفَاه آمِرَاً الحُرَاسَ :

- احرِقُوا كُلَ قَرَاطِيسَ بَيدَبَا

## ( 11 ) صعود وهبوط

تَرتَسِمُ عَلَى وَجهِها ابتِسَامَةٌ
إذَا عَانَقت عَينَاها صُورَةَ زفَافِهما ،
فمَا زَال رَنينُ زَغَارِيدِ أُمِها فِي أُذُنَيها

# صعود وهبوط

مَعَ كُلِ صَبَاحٍ تَضَعُ يَدَها عَلَى صَدرِها تُرَاقِبُ صُعُودَ الصَّدرِ وهبُوطَه ؛ تُصَافِحُ بحَرَكَتِه يَقينَ بَقَائها عَلَى قَيدِ الحَيَاةِ ، تَتَجوَلُ فِي الحُجرَاتِ تَجتَرُّ الذِّكْرَيَاتِ المُعَلَقَةَ عَلَى الجُدرَانِ تَأنَسُ لِحَدِيثِها ، تَرتَسِمُ عَلَى وَجهِها ابتِسَامَةٌ إذَا عَانَقت عَينَاها صُورَةَ زفَافِهما ، فمَا زَال رَنينُ زَغَارِيدِ أُمِها فِي أُذُنَيها ، يُدَاعِبُها طَيفُ زَوجِها يَدخُلُ مِن البَابِ مُبتَسِمًا يُهدِيها قُبلَتَه اليَومَيةَ ، تُعِدُّ لَه الطَّعَامَ يَتشَارَكَان خُبزَ المَحَبَةِ تُظَلِلُهما المَودَةُ ، تَزدَادُ ابتِسَامَتُها لفَرحَتِه الغَامِرَةِ يَومَ أنجَبَت ، تَشُقُّ الدُّمُوعُ تَجَاعِيدَ وَجهِها كُلَّمَا اصطَدَمَت عَينَاها بالشَرِيطِ الأسوَدِ عَلَى صُورَةِ ابنِهما الوَحيدِ ، تَنتَشِلُها مِن يَمّ الأحزَانِ جَلَبَةُ الشَّارِعِ ؛ تَندَفِعُ بِشَغَفٍ للنَّافِذَةِ تَروِيها تِريَاقَ الحَيَاةِ ، تُؤنِسُها حَرَكَةُ الأقدَامِ ونِدَاءاتُ البَاعَةِ ، تَنتَظِرُ بالسَّاعَاتِ مَن يُلقِيها وَلَو بِتَحِيَةٍ تُوقِدُ إحسَاسَها بالحَيَاةِ ، كَثِيرًا مَا تَحرِمُها الأيَامُ الرَتِيبَةُ مِن الكَلَامِ ؛ فَالجَمِيعُ تُلهِيه المَسئولِيَاتُ يُهَرولُ مُكتَفِيًا بالتَّلوِيحِ لَها وقَدْ يَغفَلُ عَنْه كَثِيرُون ، تَتَجَوَلُ بَينَ جَنبَاتِ شَقَتِها الصّمَاءِ ؛ تُدِيرُ المِذيَاعَ تَتَسَمَعُ الأخبَارَ ، وبِصَوتٍ مَسمُوعٍ تُنَاقِشُ المُذِيعَ فِيها ، قَدْ تُسعِدُها أُغنِيةٌ كجُندُولٍ يَسبَحُ بِها فِي نَهرِ الذِّكْرَيَاتِ و أحَايين كَثيرَةً تُبكِيها ، فَقَدْ رَحَلُوا جَمِيعًا وتَرَكُوها وَحدَها تَصحَبُها الأسقَامُ ، لَا يُبَدِّدُ وَحشَتَها سِوَى الذِّكْرَيَاتِ ، تَمُرُّ الأوقَاتُ مُتَثَائِبَةً ، يُخَيمُ عَلَيها فَزَعُ اللَّيلِ المُعتَادُ ، تَضَعُ يَدَها عَلَى صَدرِها تُرَاقِبُ صُعُودَ الصَّدرِ وهبُوطَه ، تَتَحَدَّثُ مَعَ الصَّمتِ تُجِيبُها أَطيَافُ أَحبَةٍ قَدْ مَضَوا ولَنْ يَعُودُوا ، مَعَ الصَّبَاحِ تَضَعُ يَدَها عَلَى صَدرٍ أرهَقَته الوِحدَةُ .. فلَا صُعُودَ لَه اليَومَ ولَا هبُوطَ .

## ( 12 ) السجادة الحمراء

يُكَابِدُ الحَيَاةَ ،
صَامِدًا يُنَازِلُ ظَلَامَ اليَأسِ ،
يُنَادِي الشَّمسَ أنْ تُشرِقَ
فقَدْ طَالَ بَقَاءُ الغَيمَاتِ الدَّاكِنَةِ

# السجادة الحمراء

عَلَى حَاشِيةِ القَشِ فِي كُوخِه المُهتَرِئ يُبَلِلُ كِسرَةَ خُبزٍ يَابِسَةٍ فِي جَرعَةِ مَائه المُكَدَّرِ ، تُمَزِقُ سِكِينُ الجُوعِ ثَوبَه المُرَقَّعَ ، يُكَابِدُ الحَيَاةَ ، صَامِدًا يُنَازِلُ ظَلَامَ اليَأسِ ، يُنَادِي الشَّمسَ أنْ تُشرِقَ فقَدْ طَالَ بَقَاءُ الغَيمَاتِ الدَّاكِنَةِ ، صَافِرَاتُ إنذَارٍ تَعوِي ، قَذَائفٌ تَنشُرُ الخَرَابَ ، رَصَاصَاتٌ تُبَعثِرُ الدّمَاءَ ، تَهجُرُ الطُّيورُ أعشَاشَها تَتَخِذُ الجِرذَانُ مِنَ الأعشَاشَ أوكَارًا ، الخَوفُ القَاتِمُ يَملَأ فَرَاغَ الصَّمتِ ...

سَيَارَاتٌ فَارِهَةٌ وسِجَادَةٌ حَمرَاءُ ، مُوسيقَى الأنَاشِيدِ الوَطَنِيةِ تُعزَفُ ، مُصَافَحَاتٌ وابتسَامَاتٌ مُدَاوَلَاتٌ جَوفَاءُ ، عَبرَ الشَّبَكَاتِ الزَّرقَاءِ نَهِيقُ حُمُرٍ مُستَنفَرَةٍ ، صُحُفٌ تُعلِنُ استِئنَافَ المُحَادَثَاتِ فِي وَقتٍ لَاحِقٍ .

عَودَةٌ لِفِيلِمِ السَّهرَةِ ، علَى المَقهَى يُتابِعُون فِي حَمَاسٍ المُبَارَاةَ .

نَعِيقُ غِربَانٍ ..

بَينَ رُكَامِ الكُوخِ مُضرَجًا فِي دِمائه ، تَحمِلُ جُثتَه سَيارَةُ الصَّليبِ الأحمرِ ،

- لمْ يَعدْ شيءٌ فِي العالمِ يُخِيفُه الآنَ .

## ( 13 ) بائعة الورد

يَعبُرُ الطَّرِيقَ
وَسطَ نُبَاحِ السَّيَارَاتِ المَسعُورَةِ ،
يَبحَثُ عَنْ الكُرسِي الخَشَبِي
لِيَتَمَتَعَ بِصَفحَةِ البَحرِ لَا يَجِدُه ؛
المَكَانُ يَعُجُّ بِالبَشَرِ،
تَحجُبُ البَحرَ
بِنَايَاتٌ خَشَبِيةٌ وأسيَاخٌ حَدِيدِيةٌ

# بائعة الورد

بِجوارِ النَّافِذَةِ تَسبَحُ عَينَاه عَبرَ الزُّجَاجِ ؛ فَتَرَاه فَاتِحًا زِرَاعَيه يُسَابِقُ أقْرَانَه ، تُحَلِقُ ضَحَكَاتُهمْ الرَّنَّانَةُ فَوقَ صَفحَةِ البَحرِ الصَّافِيةِ ، وفِي قَارِبِ الصَّيَادِ يَمُدُّون أكُفَّهمْ الرَقِيقَةَ تُعَانِقُ كَفَ البَحرِ ، تَمْلَأ رَائِحَةُ اليُودِ صُدُورَهمْ ، تُغَازِلُ أشِعَةُ الشَّمْسِ أعينَهمْ البَرِيئةَ ، وعَلَىَ الكُرسِي الخَشَبِي وفِي فَضَاءِ البَحرِ الشَّاسِعِ تَسابِقُ عُيُونُهمْ الأمواَجَ المُتلَاحِقَةَ ، يُتَابِعُون شِباكِ الصَّيَادِين تَتَلَألأ بِرِزْقِ المَنَّانِ ، وعَلَىَ الكُورنِيشِ يَرَونَها قَادِمَةً فِي ثَوبِهَا الزَّاهِي بِوَجهٍ وَردِيٍ بَاسِمٍ ، وبِصَوتٍ يُدَغْدِغُ أذَانَهمْ تُنَادِي :

- الوَردُ النَّادِي .. الوَردُ الصَّابِحُ .. تُغَني " مين يشتري الورد مني "

يُهَروِلُون نَحوَهَا بِفَرحَةٍ غَامِرَةٍ ؛ يَشْرُون الوَردَ الصَّابِحَ يَنتَشِرُ شَذَاه بَاعِثًا البَهجَةَ فِي النُّفُوسِ ، يَقطَعُ شَرِيطَ ذِكْرَيَاتِه صَوتٌ مُفَاجِئ :

- الرَّجَاءُ رَبطُ الأحزِمَةِ

وفِي الحَافِلَةِ يَبحَثُ عَبرَ النَّافِذَةِ عَنْ ذِكْرَيَاتِ الصِبَا يُعَانِقُهَا ، تَتَوَقَفُ الحَافِلةُ فَجأةً ؛ صَخَبُ آلَاتِ تَنبِيهٍ يَنتَزِعُه مِنْ حُضْنِ الذِّكْرَيَاتِ ، يَسألُه جَارُه :

- أينَ نَحنُ الآنَ ؟
- لَا أعرِفُ ، أربَعُون عامًا غَيَرت المَعَالِمَ تَمَامًا

يُلقِي بِنَاظِرَيه مِنْ نَافِذَةِ الحَافِلَة ، ِالوُجُوهُ عَابِسَةٌ مُكْفَهِرَةٌ ، بِشَتَّىَ الوَسَائلِ يَبلُغُ الجَمِيعُ غَايتَه غَيرَ مُكْتَرِثٍ بِمَنْ حولَه ، الغُبَارُ يَحجُبُ

وَجهَ الشَّمْسِ ، صَخَبٌ وضَجِيجٌ ،عَرَقٌ وزِحَامٌ ، ضَحِكٌ وبُكَاءٌ ، غِنَاءٌ وصُرَاخٌ ، يَختَلِطُ الحَابِلُ بِالنَّابِلِ

- حَمدٌ للهِ عَلَىَ السَّلَامَةِ .. مَحطَةُ الوُصُولِ

ومَا إنْ تَطَأ أقدَامُه الأَرضَ حَتَىَ تَملأ رِئتَيه أدخِنَةُ العَوَادِمِ ، أجوَاءٌ خَانِقَةٌ تُطبِقُ عَلَىَ الصُّدُورِ دُونَ شَفَقَةٍ ، وفِي اللُوكَاندَةِ العَرِيقَةِ :

- نَورت بَلَدَك
- شُكْراً .. احجِزْ لِي أُسبُوعًا مِنْ فَضْلِك

يَترُكُ حَقِيبَتَه ، يَحتَضِنُ المَيدَانَ الكَبِيرَ ، تَعلُوه الدَّهشَة :

- أينَ بائعُ الفِشارِ ؟ أينَ السُّلَمُ الكَهرُبَائي ؟ أينَ السِّينمَا ؟ كان هُنَا دَلِيلٌ أينَ غَاب ؟

يَعتَرِيه الحُزنُ ، يَعبُرُ الطَّرِيقَ وَسطَ نُبَاحِ السَّيَارَاتِ المَسعُورَةِ ، يَبحَثُ عَنْ الكُرسِي الخَشَبِي ليَتَمَتَعَ بِصَفحَةِ البَحرِ لَا يَجِدُه ؛ المَكَانُ يَعُجُّ بِالبَشَرِ، تَحجُبُ البَحرَ بِنَايَاتٌ خَشَبِيةٌ وأسيَاخٌ حَدِيدِيةٌ، وفَجأةً يَرَاهَا فِي رِدَاءٍ رَثٍ لَطَخَتها أغْبِرةُ السِّنِينِ ، تَنفُثُ دُخَانَ سِيجَارَةٍ ، هَجَرَت الابتِسَامَةُ وَجهَهَا ، حَفَرَ الزَّمَانُ بِبَرَاثِنِه الحَادَةِ المَرَارَةِ عَلَىَ مَلَامِحِهَا ، فِي يَدِهَا وَردَاتٍ قَاتِماتٍ قَدْ نَالَ مِنهُن الذُّبُولُ :

- أنتِ هِي .. كُنْتِ تَبِيعِين لَنا الوَردَ تُنَادِين : الوَردُ النَّادِي .. الوَردُ الصَّابِحُ .. تُغَنِين " مين يشتري الورد مني "
- كَان زَمَان

يَتَجَرَعُ المَرَارَةَ .. يَتَأمَلُ جَوازَ سَفَرِه ، يَحمِلُ حَقِيبَتَه :

- تَاكْسِي .. المَطَارُ مِنْ فَضْلِك

## ( 14 ) النورس الجريح

تَنسَلِخُ مِنْ سَوَادِ الحِدَادِ المُطبِقُ
عَلَىَ جَسَدِهَا النَّافِرِ بِالأُنُوثَةِ الصَّارِخَةِ ،
تُضَاجِعُ الصَّمتَ عَلَىَ فرَاشٍ بَارِدٍ
ذَهَبَ عَنْه الدِفْءُ

# النورس الجريح

مَرَّ العَامُ ثَقِيلاً والأيَامُ رَتِيبَةً واللَّيَالِي بَارِدَةً ، ولَمْ تَنزَعْ عَنْ جَسَدِهَا مَلَابِسَ الحِدَادِ ، تَستَقِلُ سَيَارَتَهَا ، تَصِلُ إِلَىَ مَحَلِ المَلَابِسِ فِي الحَيِ التُّجَارِي :

- اتفَضَلِي يَا هَانِمُ إيرَادَ الأُسبُوعِ

وفِي البَنكِ القَرِيبِ :

- إيدَاعٌ مِنْ فَضلِك

وفِي شَقَتِهَا الوَاسِعَةِ وَحدَهَا ...

تَزحَفُ الدَّقَائِقُ زَحفًا ، يَنتَابُهَا التَّمَرُدُ ؛ تَنسَلِخُ مِنْ سَوَادِ الحِدَادِ المُطبِقُ عَلَىَ جَسَدِهَا النَّافِرِ بِالأُنُوثَةِ الصَّارِخَةِ ، تُضَاجِعُ الصَّمتَ عَلَىَ فرَاشٍ بَارِدٍ ذَهَبَ عَنْه الدِفْءُ بِغِيَابِ الزَّوجِ بَعدَ عِشرِين عَامًا عَوَضَّهَا فِيهِمْ عَنْ الحِرمَانِ مِنَ الوَلَدِ بِفَيضِ حَنَانٍ ثَمَلَت مِنْ خَمرِه وأسبَلَت جَفنَها فَغَفا ، كَانَ يَروِي ظَمأَ أرضِهَا فَتَفِيضُ نَهرًا ، الآنَ تَتَمَلمَلُ فِي سَرِيرِهَا يُخَاصِمُ أجفَانَهَا النَّومُ ، لَا تَسمَعُ سِوَىَ هَرِيرِ الرِّيَاحِ فِي فَضَاءِ شَقَتِهَا القَاحِلَةِ ، تَخرُجُ للشُّرفَةِ تَرَىَ طُيُورَ النَّورَسِ تُحَلِقُ فَوقَ صَفحَةِ البَحرِ ، يَلفُتُهَا إحدَىَ النَّوَارِسِ تَقتَرِبُ مِنْ قَارِبِ الصَّيَادِ فِي رُعُونَةٍ وتَهَوُرٍ ؛ فيُصِيبُهَا ، تَقعُ عَلَىَ صَفحَةِ البَحرِ تَتَلَاعَبُ بِهَا الأمواجُ دُونَ هَوَادَةٍ ؛ تُغَادِرُهَا النَّوَارِسُ وتَترُكُهَا

لِمَصِيرِهَا وَحِيدَةً ؛ تَتَلَقَّفُهَا أيدِي الصَّيَادِ بِلَا شَفقَةٍ ، تَدخُلُ إِلَىَ شَقَتِهَا تَنظُرُ إِلَىَ المِرآةِ تَتَحسَّسُ بِرَاحَتَيهَا أنحَاءَ جَسَدِهَا ؛ تَرتَخِي أجفَانُهَا ، تَستَحِرُ وَجنَتَاهَا ؛ يُدَاعِبُ خَيَالَهَا ذِكرَيَاتُ اللَّيَالِي الدَّافِئةِ ، تَعُودُ لِشُرفَتِهَا تَختَرِقُهَا نَظرَاتِ شَابٍ قَابِعٍ عَلَىَ الكُورنِيشِ لَا يَحِيدُ بِنَاظِرَيه عَنْهَا ، يَنتَابُهَا الارتِبَاكُ ؛ تُسرِعُ ، تَرتَمِي فِي كَهفِ سَرِيرِهَا البَارِدِ ، يَعتَرِيهَا الأرقُ ، يُحَلِقُ خَيَالُهَا بَعيداً ، تُصَارُعُ مَشَاعِرَ مُضطَرِمَةً حُرِمَت مِنْهَا ، يُبَلِلُهَا مَاءُ شَهوَتِها ، وبَينَمَا تَسيرُ تُشَاهِدُ الفَاترِينَاتِ قَتلاً للمَلَلِ والدَّقَائقِ الرَّتِيبَةِ ، يَقذِفُ الشَّابُ أذُنَيهَا بِسِهَامٍ تُخَدِرُ جَسَدَهَا وتُدَغدِغُ مَشَاعِرَهَا ، فَقَدْ جَفَّت أرضُهَا وتَشَقَقَت ، وبِمَعسُولِ اللّسَانِ فِي عُمقِهَا قَدْ أبحَرَ، وَمِنْ رَوضِهَا قَدْ قَطَفَ ، وأشبَعَ روحَهَا بِالحَنَانِ ؛ فَارتَمَت فِي حِجرِه مِثل هِرَةٍ ، فالتَقَت دِفْءَ الفرَاشِ بَعدَ غِيَابٍ ، تَحُفُهَا السَّعَادَةُ ؛ فَارتَوَت ...

- أغَارُ عَلَيكِ مِنْ حَدِيثِ مَعَ الرِّجَالِ وهَذَا حَقُ كُلِ زَوجٍ
- أنَا كُلِّي لَك حَبِيبِي
- أرِيدُ مِنْكِ تَوكِيلاً عَامًا ؛ فَالغِيرَةُ تَقتُلُنِي ...

وَعَلَىَ رَصِيفِ مَحَطَةِ التِّرَامِ حَيثُ مَأوَاهَا ، فِي حَالٍ مُتَرَدِيةٍ قَدْ بَاتَت ، تَرَاه خَارِجًا مِنْ بَابِ العِمَارَةِ تَتَأبَطُ ذِرَاعَه فَتَاةٌ فِي نُضرَةِ الشَّبَابِ تُمَاثِلُه فِي العُمْرِ ، تَتَعَالَىَ ضَحكَاتُهمَا ، يَركَبَان السَّيَارَةَ ، أحَدُ المَّارَةِ يَضَعُ فِي كَفِهَا المُوحِلَةِ جُنَيهًا ، تَتَأمَلُه ، تُطبِقُ رَاحَتَهَا عَلَيه ، تُدِيرُ وَجهَهَا لِعَرَبَةِ الفُولِ .

## ( 15 ) البوصلة

وبَينَمَا يَسِيرُ يَتأمَلُ
صَفحَةَ بَحرِ الأزرَقِ
وقدْ التَحَف بِبُقعَةِ الزَّيتِ الأسوَدِ
، تَلتَقِطُهَا عَينَاه
وقدْ لَطَّخَهَا الزَّيتُ الحَالِكُ ،
تَتَقَاذَفَهَا الأموَاجُ

# البوصلة

فِي صبَاحٍ مُعتَادٍ ، وفِي بَحرِ الأزرَقِ يَسبَحُ إِلَىَ شَوَاطِئ البَيضَاءِ يَقطُرُ زُرقَةً ، تُنَادِيه فَلَا يَكْتَرِثُ ، تُلَاحِقُه ولَا يُبَالِي ، تَرمُقُه يُلقِيهَا مِنْ عَينَيه ، يَمضِي ؛ تُنَادِيه :

- فُكْ قَيدِي ..
- لَنْ تَجِدِي لَكِ مَأوَىَ ، فَلَا جَدوَىَ مِنْ ارتِحالِك آلَافِ الأميَالِ فَوقَ البِحَارِ إِلَىَ أرضِي ، فَقَطْ أقفَاصٌ فِيهَا تَصرُخِين وتَئِنِين ويَظنُّونَك تُغَردِين .
- فُكْ قَيدِي فَلرُبَّمَا وَجَدْت شَجَرَةً مَازَالَت مُورِقَةً أستَظِلُّ بِهَا أُعَشِشُ بَينَ أورَاقِها أو بُحَيرَةً تَتَمَتَعُ بِالصَّفَاءِ أسبَحُ فِيهَا .
- لَا عُيُونَ تَرَاك ؛ فتَسبَحِين فِيهَا ، ولَا عُقُولَ مُورِقَةً تَعي مَقَاصِدَك ؛ فتَحُطِين عَلَيها ؛ رُدِمَت العُيُونُ الصَّافِيةُ ، واجتُثَّت العُقُولُ المُورِقَةُ ؛ خَيَّم الأسمَنتُ يَملَأُ المِسَاحَاتِ ، وعَلَىَ كُلٍ لَك مَا تُرِيدِين .

يَفُكُّ قَيدَهَا يُطلِقُ عَنَانَهَا ويَمضِي ، يَجِفُّ قَطْرُ الأزرَقِ عَلَىَ شَاطِئِ الأبيَضِ ، وبَينَمَا يَسِيرُ يَتأمَلُ صَفحَةَ بَحرِ الأزرَقِ وقدْ التَحَف بِبُقعَةِ الزَّيتِ الأسوَدِ ، تَلتَقِطُهَا عَينَاه وقدْ لَطَّخَهَا الزَّيتُ الحَالِكُ ، تَتَقَاذَفَهَا الأموَاجُ ؛ لَا تَقوَىَ عَلَىَ الطَّيَرَانِ ، تُواجِه مَصِيرَهَا المَحتُومَ عَلَىَ رِمَالٍ لَطَّخَتهَا قَتَامَةُ الزَّيتِ .. فإذَا بجُحَا وقَدْ خَرَجَ لإلقَاءِ الدَرسِ فِي الجَامِعِ ومَعَه مُرِيدُوه وتلامِيذُه ، يرَكَبُ حِمَارَه بالمَقلُوبِ ، فتَعجَبُوا مِنْه ليَقُولَ لَه أحدَهمْ :

- لِمَاذَا تَركَبُ كَمَا نَرَى يا سَيدِي ؟

فأجَابَه قَائِلاً :

- ومَا أصنَعُ ؟! إنِي إذَا رَكَبْت مُستَقِيماً تَبقُون خَلفَ ظَهرِي ، وإذَا سِرتم أمَامي أبقَى خَلفَكمْ ، مِن أجلِ هذَا رُكُوبي بالمَقلَوبِ هوَ الأصَحُّ . يَهِيمُ مَعَ ابتسَامَتِه البَاهِتَةِ تُغَلِفُهَا الحَسرَاتِ مُتَسَائلاً : هَلْ نَلُومُ البُوصلَةَ لِماذَا اتجَهَت شَمَالاً ؟! تُحَلِقُ عَينَاه بَحثاً عَنْ عُيُونٍ تَسبَحُ فِيهَا طُيورٌ أو عُقُولٍ مُورِقَةٍ خَضرَاءَ تَحُطُّ عَلَيها ، يَصرُخُ ..

يَرتَدُّ صَدَى صَوتِه خَالِي الوَفَاضِ .

## ( 16 ) على هامش ألف ليلة

ولما كانت إحدى ليالي شهرزاد
والملكُ شهريار من مجلسِه قد عاد
ينتظرُ حكايتَها الجديدةَ
فلربَّما ينعمُ بليلةٍ سعيدةٍ ..

# على هامش ألف ليلة

ولمَّا كانت إحدى ليالي شهرزاد . والملكُ شهريار من مجلسِه قدْ عاد ..
ينتظرُ حكايتَها الجديدةَ . فلربَّما ينعمُ بليلةٍ سعيدةٍ ..

- بلغني أيها الملكَ السعيدُ ذو الرأي الرشيدِ . أنَّه بعدَ انقضاءِ العيدِ ..
عاد من بلادِ البترولِ . عليوة ابن أبو المعاطي زغلول . .
بيفكر يعمل مشروع . ما هو داق في كل قرش ذل وجوع ..
- وماذا بعد يا شهرزاد ؟
- ما تعرف يا مولاي إيه صابه . وعلى قعدات المزاج مين جابه ..
الحاسد ولا صديق السوء . على قهوة فراج في السوق ..
واقتنع المتعوس . إن تجارة السموم هتملا جيوبه فلوس ..
لكن المنحوس منحوس . ولو حطوا على راسه فانوس ..
- قُبِض عليه إذنْ وفي الحبسِ اتسجن ؟
- قالوا في الأمثال ( طباخ السم بيدوقو ) .
وقع عليوة في شر أعماله . وضاع في سكة الشيطان ماله ..
هلس وفلس . قاعد في الشارع متيس ..
وفي شبر الميه غرقان . وبين الخلايق صبح عدمان ..
- اتجنن ولا افتقر ؟
- سبحانه من يغيرُ ولا يتغيرُ .
مشى في الشوارع هايم . ما تعرفوا صاحي ولا نايم ..
وفي يوم عند المزلقان . والقطر بيجري على القضبان ..
مفزوعة عليه الناس بتنادي :
- ( ارجع يا غلبان ) ..

وراح عليوة في خبر كان .. وآدي أخرة اللي يطاوع الشيطان .

وهنا أدرك شهرزادَ الصباحُ فسكتت عن الكلامِ المُباحِ .

## ( 17 ) فريسكا

علَى بَابِ الوَرشَةِ يَأخُذُ الفرِيسكَا
ويُنَاوِلُها عَشرَةَ جُنَيهَاتٍ ،
تُسرِعُ بِها إلَى أمِها
المَشغُولَةُ عَنْها بِتَوزِيعِ الفرِيسكَا
علَى السّلَالِ المُدَلَّاةِ

# فريسكا

فِي اللَّيلِ تُعِدُّ الفرِيسكَا ، وتَخرُجُ صَبَاحًا تَطُوفُ الشَّوَارِعَ والحَارَاتِ تُنَادِي :

- ( المُقَرمِشَةُ يَا فرِيسكَا )

بِذَلِك النِّدَاءِ وبِنَبرَةٍ جَادَةٍ حَادَةٍ تَغلِبُ ضَوضَاءَ الشَّوَارِعِ وجَلَبَةَ الحَارَاتِ يَنبَعِثُ نِدَاؤها يَتبَعُه صَوتٌ وَاهِنٌ

- ( تَلاتَة بالعَسل بخَمسة جِنيه )

يَنسَابُ إلَى البِيوُتِ ؛ تَتدَلَّى الرُّؤوسُ مِنَ الشُّرُفَاتِ تُنَادِيها

- فرِيسكَا

السّلَالُ مُدَلَّاةٌ ، تُهرولُ إلَيها تُوزِعُ الفرِيسكَا ، وتَلتَقِطُ رِزقَها ،

الأُسطَى " توفيق " علَى بَابِ الوَرشَةِ يَأخُذُ الفرِيسكَا ويُنَاوِلُها عَشرَةَ جُنَيهَاتٍ ، تُسرِعُ بِها إلَى أمِها المَشغُولَةُ بِتَوزِيعِ الفرِيسكَا علَى السّلَالِ المُدَلَّاةِ ، تُعطِيها خَمسَةَ جُنَيهَاتٍ لتَرُدَّها إلَيه

الأُسطَى " توفيق " مُبتَسِمًا :

- هِي لَك

تَقِفُ الصَّغِيرَةُ حَائِرَةً ، تَنظُرُ لأُمِها وقَدْ ارتَسمَت علَى قسمات وجهها الجِديَةُ وبِابتسَامَةٍ بَاهِتَةٍ تَقُولُ :

- شُكْراً يَا أُسطَى ..
- هَدِيةٌ للصَّغِيرَةِ

- سَامِحنِي لَا نَقبَلُ إحسَانًا ..

تَحمِلُ بِضَاعَتَها وتَمضِي مُنَادِيَةً

- المُقَرمِشَةُ يَا فرِيسكَا

وبِدَورِها تَلحَقُ نِداءَ أُمِها بِصَوتِها الوَاهِنِ

- تَلاتَة بِالعَسلِ بِخَمسة جِنيه

مَعَ المَسَاءِ تَعودَان لبَيتِهما ، يَأكُلَان مِنْ رِزقِ يَومِهما ، أحلَامُهما بَسيطَةٌ ، ومَعَ النّهَارِ تَمضِيان تُنَادِي بِصَوتِها الحَادِ وبِنَبرَةٍ جَادَةٍ

- المُقَرمِشَةُ يَا فرِيسكَا

لَا يَتبعُها الصَّوتُ الوَاهِنُ ، تَستَدِيرُ تُنَادِي

- نُورَا .. يَا نُورَا

يُخبِرُها صَدَى صَوتِها اختفَاءَ الصَّغيرَةِ ، يَلطُّمُ فَزَعُها الأَزِقَةَ والحَارَاتِ ، تَنتَابُها رَعدَةٌ ، تَصُمُّ أُذُنَيها عَنْ حَديثِ قَلبِها المُتَشَائِمِ ، يُخَيمُ سَوَادُ اللَّيلِ القَاتِمُ علَى روحِها ، طَرقٌ علَى البَابِ يَنخَلِعُ لَه قَلبُها ، وفِي المَشرَحَةِ

- هَلْ هَذِه جُثَّةُ ابنَتُك ؟ ...

ذَاهِلَةً فِي حَالٍ مُترَدِيَةٍ وبِنَبرَةٍ مُنكَسِرَةٍ وَاهِنَةٍ ، تُحَاوِلُ أنْ تَغلِبَ ضَوضَاءَ الشَّوَارِعِ وجَلَبَةَ الحَارَات ِتُنَادِي :

- يَا نُورَا .. يَا نُورَا

عُيُونٌ مُدَلَّاةٌ مِن الشُّرُفَاتِ تُراقِبُ فِي أسَى ، والأُسطَى " توفيق " علَى بَابِ الوَرشَةِ يَمسَحُ دَمعَاتِ قَدْ غَلَفَتها الحَسرَةِ .

## ( 18 ) اسم مجرور

ومع الغروبِ يجلسُ أمامَ البحرِ الممتدِ ؛
ليتسعَ لأحلامِ مملكتِه الشاسعةِ ،
يغفو مع نسائمِ البحرِ يتجلى
أمامَه القادمَ من بينَ أضبةِ الزمن
فوقَ حصانِه

## اسم مجرور

في البدءِ كانت الحكايةُ ، تناسلت الأحقابُ تباعدت الخريطةُ ، تنوء رأسُه الحُبلى بالحواديتِ ، تئنُ روحُه في شوارعِ المدينةِ ، يحلمُ أن يعودَ فاعلاً بعد أن صار مفعولاً ؛ لينفضَ ما علق بها من أتربةٍ ورمالٍ ، يصفعُه صراخُ مواليدِ المدينةِ الذين يخرجونَ من أرحامِ أمهاتِهم يسرعونَ الخَطوَ نحو بواباتِ المقابرِ العتيقةِ ، تضيقُ بهم الأماكنُ ؛ فلا مكانَ اليومَ للحواديتِ ، ومع الغروبِ يجلسُ أمامَ البحرِ الممتدِ ؛ ليتسعَ لأحلامِ مملكتِه الشاسعةِ ، يغفو مع نسائمِ البحرِ يتجلى أمامَه القادمُ من بينَ أضبةِ الزمنِ فوقَ حصانِه قد تكشفت ساقاه يغرسُ رمحَه في رمالِ الشاطئ

- انطلقوا فالبدايةُ هنا
- الطيرُ تحطُّ على الحَبِ يا مولاي
- انثروا المزيدَ من الحَبِ ولتحط الطيرُ هنا من كلِ جنس
- نفعلُ أيها القائدُ
- سأنطلقُ بجيوشي صوبَ الشمسِ وليبق هنا فلاسفةُ الجمالِ ليشرفوا على التخطيطِ والبناءِ
- أمرُ مولاي القائدِ الأكبرِ

تعلو على الشاطئ الأشرعةُ البيضاءُ تشعُّ ضياؤها للبرِ الشمالي ، تعبرُ طريحةُ زيوس عبرَ الأشرعةِ للمدينةِ التي أزهرت أقلامًا وقراطيسَ ، تنبتُ أشجارُ الزيتونِ بالدهنِ وصبغٍ للآكلين ، تنقضي القرونُ تقطعت الأشجارُ تزحفُ الرمالُ من الصحراءِ على الشَّوارعِ تغطي الأرصفةَ ؛ تنطفئ القناديلُ تظلمُ الشوارعُ ، تهجرُ الطيورُ المدينةَ ، تخبو أشعةُ الشمسِ ؛ فيغادرُ الفلاسفةُ المدينةَ يلحقُ بهم الجمالُ ؛ تثورُ الأمواجُ ؛ تتحطمُ الأشرعةُ البيضاءُ ، يصمُّ الآذانَ نعيقُ غربانٍ غرابيبَ ، قاطنو المدينةِ صاروا جوعى بلا أسنانٍ ، في المسرحِ الأثري ينزلُ المدرجاتِ إلى الأسفلِ مجرورًا بكسرةِ الروحِ إلى التابوتِ الحجري .

## ( 19 ) دموع القنديل

تأخذُ رأسَه في صدرِها
تربتُ على ظهرِه حتى يهدأ ،
تنتابُه رعدةٌ ، تأتيه بغطاءٍ
تضعُ رأسَه في حجرِها
تمسحُ على رأسِه حتى ينامَ
تتعلقُ عيناها الباكيةُ بالصورةِ
تتذكرُ ذلك اليومَ المشؤومَ

# دموع القنديل

في البيتِ الحزينِ يجلسُ على الأرضِ واضعًا راحتيه على فخذيه يطوحُ رأسَه يمنة ويسرة مبتسمًا ، تعلو ضحكتُه عاليةً كلَّما سمع صوتَ القطارِ الذي يمرُّ من المحطةِ التي يطلُّ عليها بيتِهم ، تنظرُ إليه أمُه في أسى ؛ فلمْ يعدْ الآنَ ذلكَ الجسدُ الصغيرُ الذي كانت تحملُه ، صار اليومَ رجلاً لكن لا تتعدى سنواتُ عقلِه أصابعَ الكفِ الواحدةِ ، تنكفئ عليه أمُه تحتضنُه وهي تبكي ؛ فهي تدركُ أن مصيرَه مظلمٌ من دونِها ، فمثلُه ينبذُه الأهلُ والأقاربُ ، ليس له أصدقاءُ أو جيرانُ يحملون همَّه ، لنْ يرحمَه مجتمعٌ الكلُ فيه مشغولٌ بحالِه ولا يعنيه الآخرُ ، فكم حاولت وبشتى الطرقِ أن تخرجه من البئرِ المبهمةِ لكنْ دونَ جدوى ، يضعُ أصبعَه في فمِه تسرعُ تقدمُ له الطعامَ فهو يفعلُ ذلك كلَّما جاع

- انظرْ لتلك الصورةِ هذه أنا وهذا أنت تجلسُ على فخذي وهذا أبوك ويقفُ لجوارِه أخوك

ينظرُ للصورةِ ؛ يقطبُ بينَ حاجبيه يصمتُ ، يطيحُ بالطعامِ يبكي ، يعلو صراخُه تأخذُ رأسَه في صدرِها تربتُ على ظهرِه حتى يهدأ ، تنتابُه رعدةٌ تأتيه بغطاءٍ تضعُ رأسَه في حجرِها تمسحُ على رأسِه حتى ينامَ ، تتعلقُ عيناها الباكيةُ بالصورةِ تتذكرُ ذلكَ اليومَ المشؤومَ الذي فقدت فيه الزوجَ

والابنَ الأكبرَ في حادثةِ سير ، فغاب العائلُ الوحيدُ لها ولابنها الصغيرُ الذي لا يكبرُ ، صار هذا الابنُ قنديلاً يبددُ ظلمةَ وحشتِها ، لكن من لهذا المسكينِ إن رحلت لبارئها ، تمدُّ يدَها تتناولُ دواءَ قلبِها الذي أسقمته سنواتُ الحزنِ المريرةِ ، تزيدُ من أسقامِه شدةُ القلقِ على المصيرِ المظلمِ لهذا المسكينِ

وذاتَ يومٍ يهزُّ رأسَه بشدةٍ رغبةً في الجلوسِ أمامَ البيتِ ليشاهدَ القطارَ كما اعتاد ، تسرعُ الأمُ تلبسُه ملابسَ نظيفةً وتجلسُه على كرسي أمامَ البابِ

تنهمكُ الأمُ في أعمالِ البيتِ ينتابُها وخزٌ في قلبِها ، في الخارجِ يضعُ أصبعَه في فمِه يبكي يعلو صراخُه لا تجيبه الأمُ ، يدخلُ البيتَ ليجدَها طريحةَ الأرضِ يهزُّها فلا تجيبُ ، أخذ يكسرُ كلَ شيءٍ أمامَه يجري حافيًا إلى رصيفِ المحطةِ ، يجلسُ واضعًا أصبعَه في فمِه يهزُّ رأسَه يمنة ويسرة ، يتوقفُ القطارُ تركبُ الناسُ يتبعُهم ، يمضي القطارُ مسرعًا يسيرُ بينَ العرباتِ يبحثُ عن وجهِ أمِه دونَ جدوى ، يفترشُ أرضيةَ العربةِ واضعًا أصبعَه في فمِه يغفو في نومٍ عميقٍ ، فإذا بقدمٍ تهوي في بطنِه توقظه مفزوعًا ، مجموعةٌ من الصبيةِ المشردين في ظلامٍ وصمتٍ مطبقٍ يسألونه عن اسمِه

- مَا .. مَا

وبموسِي حادٍ يشرطُ أحدُهم خدَه ويتركونه وقد خضبت دماؤه ملابسَه التي لطخها الترابُ ، ظلَّ في القطارِ تمتزجُ دموعُه

بدمائه ، يبزغُ النهارُ يمتلئ القطارُ بالبشرِ ينفرون منه لا يطيقون رائحتَه ، يهزُّ رأسَه يمنة ويسرة يضعُ أصبعَه في فمِه تناولُه إحداهن ما يأكلُه فيلتهمُه التهامًا ، وتمضي به الحالُ في رحلاتِ القطارِ تلتقطُه المحطاتُ بالأيامِ ، يعودُ للقطاراتِ على ذاتِ الحالِ ، وتنقضي الشهورُ ببردِها وحرِها حتى صار كمًا باليًا رَثًا ؛ تزكمُ الأنوفَ رائحتُه ، وذاتَ يومٍ بينَما يتوقفُ القطارُ في إحدى المحطاتِ ، يظهرُ له رجلٌ ضخمٌ متجهمُ الوجهِ يسألُه أن يدفعَ قيمةَ تذكرةِ الركوبِ

- مَا .. مَا

وبقلبٍ متحجرٍ يزجُ به خارجَ القطارِ إلى رصيفِ المحطةِ ، وينطلقُ القطارُ فيجلسُ على أرضيةِ المحطةِ ، وفجأةً تلتقطُ عيناه بيتَهم ، يضعُ أصبعَه في فمِه ينادي :

- مَا .. مَا

يصلُ إلى بابِ بيتِهم المهجورِ ، يدفعُ البابَ تقابلُه الصورةُ المعلقةُ على الحائطِ يجلسُ أمامَها يهزُّ رأسَه يمنة ويسرة واضعًا أصبعَه في فمِه تسيلُ دموعُه

- مَا .. مَا

تتوقفُ الرأسُ عن الاهتزازِ يتمددُ الجسدُ المرهقُ على الأرضيةِ

## ( 20 ) عنق الزجاجة

يسرعُ ليلحقَ ربما بالقطارِ الأخيرِ ،
يَدخُلُ مَحَطَةَ القِطَارِ ،
والتِي خَلَت مِنْ رُوَادِهَا ،
إلَّا مِنْ جَسَدٍ
مُلقَىَ عَلَى أرضِيةِ الرَّصِيفِ لمُسِنٍ مُشَرَدٍ

# عنق الزجاجة

المُدِيرُ فِي بِزَّتِه الأنِيقَةِ يَتوَسَطُ رَجُلَين قَد حَجَبَت أعيُنِهِمَا نَظَّارَاتٌ سوداءُ ، تَقِفُ إِلَىَ جِوَارِه حَسنَاءُ فِي زِيٍ أنِيقٍ يَكَادُ يَنفَتِقُ لِشِدَةِ التِصَاقِه بِجَسدِهَا الصَّارِخِ بِالأُنُوثَةِ ، الجَمِيعُ يَتوَقفُ عَنْ العَمَلِ ؛ ليَشُقَّ صَوتُه السُّكُونَ

- يَا رِجالة .. نَحنُ الآنَ فِي مَرحَلَةِ عُنُقُ الزُّجَاجَةِ .. شِدُّوا حِيلكُم .

يُشِيرُ للحَسنَاءِ مُبتَسِمًا :

- التَقِطِي لِي صُورًا وأنا أشاركُهم العَمَلَ ؛ لِنَنشُرَهَا

يَتظَاهرُ العَامِلُون بِالانشِغَالِ فِي الجَردِ ، والحَسنَاءُ تَلتقِطُ الصّورَ لسَعَادَتِه وهَو يُشَارِكُهم بِيَدِه عَمَلِيةِ الجَردِ ، فمَا أنْ انتَهَى التَصويرُ حَتَى انصَرَفَ سَعَادَتُه عَلَى عَجلٍ قائلاً :

- الله ينَوَر يَا رِجَالة

يَنطَلِقُ إِلَى سَيَارَتِه يَسبِقُه إِليهَا الرَجُلان يَفتَحَان الأبوَابَ لَه وللحَسنَاءِ وَيَمضِي مَوكِبُه ، ليعودوا سيرَتهم الأولَىَ ، ومَا إنْ انتَهَوا مِنْ جَردِ المَخَازِنِ ، وقد تأخر الوقتُ في ذلك اليومِ المطيرِ ، يسرعُ ليلحقَ ربما بالقطارِ الأخيرِ ، يَدخُلُ مَحَطَةَ القِطَارِ ، والتِي خَلَت مِنْ رُوَادِهَا ، إلَّا مِنْ جَسَدٍ مُلقَىَ عَلَى أرضِيةِ الرَّصِيفِ لمُسِنٍ مُشَرَدٍ ، قَدْ اكْتَسَىَ جِلدُه العَارِي بأثَرِ الوَحلِ ، مَلابِسُه رَثةٌ بَالِيةٌ ، تَكشِفُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ جَسَدِه المُلَطَخِ بالوَحلِ ؛ يَتلَقَىَ صَفعَاتِ الصَقِيعِ بِلَا شَفقَةٍ أو هَوَادَةٍ ، لَا يَكتَرِثُ بِه ويَمضِي ، يتَمَدَّدُ ظِلُّه أمَامَه ، فَلَا أثَرَ لحَيَاةٍ فِي المَحَطَةِ إلَّا مِنْ خُطُوَاتِه المُتثَاقِلةِ ، ضَوءِ مِصبَاحٍ وَحيدٍ يفتَرِشُ أرضِيةَ الرَّصِيفِ ، يتبعُ بعَينيه ظلَّه المُتمَدَّدَ أمَامَه ، حَتَى وَصَل لنهايَةِ الرَّصِيفِ ؛ ليجلِسَ عَلى مِقعدٍ حَجري باردٍ ، يُلملمُ جَسدَه فِي مِعطَفِه ؛ يطلبُ بعضَ الدفءِ ، تتصَارعُ فِي رَأسِه الأرقامُ ، ومَا تبقَىَ مِنْ أيامِ الشَّهرِ ؛ حَتى يَأتِيه رَاتبُه الشَّهرِي ؛ ليواجَه بِه مسئولياتِه الحياتيةَ ، يقطعُ حبلَ أفكارِه شبحُ شخصٍ ما قادمٌ نحوَه ، لا يتبينُ ملامحَه حتى اقترب منه :

- ممكن تولعلي
- أسف لا أدخن

ينتابُه القلقُ من الرجلِ الذي يظهرُ جلياً في وجهِه أثرَ جرحٍ قطعي قديمٍ ، وعينُه تكادُ أن تكونَ مغلقةً ، تتلعثمُ الكلماتُ وهي تخرجُ من فمِه متثاقلةً ، فيتنحى جانباً

- الساعة كام يا أستاذ ؟

فما أن أخرج هاتفَه القديمَ ذا الأزرارِ ، حتى فُوجِئ بالرجلِ شاهراً مطواةٍ :

- طلع إللي في جيبك من غير كلام

وفي فزعٍ تتلعثمُ كلماتُه ، ويرتفعُ عِندَه " الإدرينالين " ، وقد أخرج ما في جيبِه ، محاولاً السيطرةَ على الرعدةِ التي أصابت جسدَه المتهاوي

- هذا كل ما معي
- بس

يختطفُهم بسرعةٍ ، ويقفزُ إلى القضبانٍ مهرولاً ، حتي ابتلعه الظلامُ المعتمُ ، تعوي صافرةُ القطارِ تعلنُ قدومَه ، يجلسُ على كرسي لجوارِ النافذةِ ؛ لعلَّه يستطيعُ التقاطَ أنفاسِه من هولِ ما لاقاه ، فإذا بحجرٍ طائشٍ قذفته يدٌ عابثةٌ ؛ يرتطمُ برأسِه

- أه .. آاااه .. دم .. دم

يتلفتُ ، لا أحدَ غيره في العربةِ ، يتألمُ ، يجففُ الجرحَ ، النزيفُ لا يتوقفُ ، يصلُّ إلى محطتِه ، يسرعُ الخطو غيرُ مكترثٍ ببركِ المياه الراكدةِ جراءَ المطرِ ، يدخلُ الحارةَ الضيقةَ ، تخترقُ فتحاتِ أنفِه عطنُ أكوامِ القمامةِ المكدسةِ أمامَ البيوتِ المتهالكةِ في تلك المنطقةِ العشوائيةِ ، تعوي الكلابُ الضالةُ ، تنبشُ في القمامةِ ؛ بحثاً عن طعامٍ ، يصيبُه الاضطرابُ ؛ فتزل قدمه ؛ يطيحُ أرضاً في بركةِ ماءٍ عطنٍ :

- يا لها من ليلةٍ عصيبةٍ

يصعدُ سُلمَ بيتِه المظلمِ ، وما زال الجرحُ ينزفُ ، وما أن يفتحَ بابَ شقتِه الصغيرةِ ، حتى يتنفسَ الصُعداءَ ، يتحسسُ جرحَه :

- ما بك يا أبي ، وما هذه الدماءُ ؟
- كنت أخرجُ من عنقِ الزُّجَاجَةِ ..

**( 21 ) صاحب المقام**

يَأوِي إلَى أطلَالِ بَيتِهِمْ الطِّينِي ؛
رُبَّمَا خَفَّفَ عَليه وَطأَةَ
شَمْسِ النَّهَارِ المُحرِقَةِ ،
أو يَزُودُ عَنْه
صَقِيعَ اللَّيلِ القَارِصِ

# صاحب المقام

عَلَى أطرَافِ النَّجعِ فِي أرضٍ بُورٍ هِيَ كُلُ مَا تَبَقَّى لَه مِنْ عَائلَةٍ أفنَاهَا الضَّنكُ وطَوَاهَا النّسيَانُ ، يَأوِي إلَى أطلَالِ بَيتِهِمْ الطِّينِي ؛ رُبَّمَا خَفَّفَ عَليه وَطأَةَ شَمْسِ النَّهَارِ المُحرِقَةِ ، أو يَزُودُ عَنْه صَقِيعَ اللَّيلِ القَارِصِ ، يَطُوفُ أنحَاءَ النَّجعِ رُبَّمَا احتَاجَه أحدُهمْ لقَضَاءِ مَالَا يَطِيقُون إنجَازَه فَيُؤدِيه ، ليَحصُلَ عَلَى أجرٍ بَخْسٍ ورُبَّمَا بَقَايَا طَعَامِهمْ فيُسكِتَ أنِينَ جوعِه ، وإنْ مَرَّ بِجَمعٍ مِنْهمْ لَا يَجنِي مِنْهمْ حَتَّى رَدّ السَّلَامِ ، لَا يَلفَظُون اسمَه إلَّا ليَحمِلَ فَضَلَاتِهمْ ؛ يُلقِيهَا فِي أرضِه الفَقِيرةِ لأبسَطِ مَظَاهِرِ الحَيَاةِ ، لَا يَأتِيهَا سِوَى كِلَابٍ ضَالَةٍ تُؤنِسُ وحدَتَه ، تَقتَاتُ مِنْ فَضَلَاتِ النَّجعِ التِي يُشَارِكْهمْ فِيهَا أحَايينَ كَثِيرَةً ، أعيَاه طُولُ السَّيرِ والجُوعِ ؛ يَفتَرِشُ الأرضَ التِي تَنفِثُ نَارًا ، يَستَنِدُ لجَدَارِ بَيتٍ تَقتَحِمُ أذُنَيه كَلِمَاتٌ تَتَطَايرُ عَبرَ نَوَافِذِه :

- فِي البَندَرِ "عِلْوَان بِك " صَاحِبُ البَازَارِ هُوَ مَنْ يَتَصَرَفُ فِيهَا
- وهَلْ صَحِيحٌ مَا يُقَالُ عَنْ النَّجعِ ؟
- هَكَذَا يَقُولُون

يَخرُجُ أحَدُهمْ مِنْ بَابِ بَيتِه :

- تَعَالَىَ يَا " مرزوق " احمِلْ تِلْكَ الفَضَلَاتِ وارمِهَا بَعِيداً
- أمرُك يَا رَيس " بدوي "

يَحمِلُهَا " مرزوق " فيُصِيبَ جَسَدَه مِنهَا مَالَا تَطِيقُ أنفُه ، وفِي الأرضِ البُورِ يُلقِيهَا ، بَينَ الرُّكَامِ يَقتَاتُ مَا نَالَ مِنْ طَعَامِ الرَّيسِ " بدوي " والكِلَابُ تَنبُشُ فِي الأرضِ ؛ تُبَعثِرُهَا المُفَاجَأةُ ، يُسرِعُ ليَرَىَ مَا حَدَث ، انهِيارٌ أرضِي وَسَطَ أكوَامِ الفَضَلَاتِ

- مَا هَذَا السُّلَمُ ؟

يَنزِلُ بِحَذَرٍ إلَىَ أعمَاقِ الظَّلَامِ الدَّامِسِ تَتَعَثَرُ قَدَمَاه بِشيءٍ مَا ، وفِي البَندَرِ وعِندَ " علوان بك " :

- هَذَا نَصِيبُك فِي العَمَلِيةِ يَا " مَرزُوق "

وإلَىَ القَصرِ الفَخمِ المشَيدِ عَلَىَ الأرضِ البُورِ يَأتِي أهلُ النَّجعِ كُلَ الوَقتِ ؛ يَطُوفُون حَولَه ؛ يَنتفِضُون لخُرُوجِه ، يَتمَسَّحُون فِي سَيَارِتِه الفَارِهَةِ وهِيَ تَعبُرُ البَوَابَةَ الحَدِيدِيةَ العَالِيةَ ، يَهُشُّهمْ الحُرَاسُ ، يَلتَقِطُون مِنْ الأرضِ مَا تُبَعثِرُه يَدَاه ، تَلهَثُ ألسِنَتُهمْ بالدُّعَاءِ لِصَاحِبِ المَقَامِ :

- رَبنَا يخليك لِينَا يَا " مرزوق باشا " .

## ( 22 ) البحر بيضحك ليه ؟

تتكئ ثالثتُهم على منسأتِها
عجوزًا تغطي عيناها نظارةٌ طبيةٌ سميكةٌ
تعتمرُ رأسُها شيبَ السنينِ التي خطت
في وجهِها سطورَ فصولٍ كُثرٍ مضت

# البحر بيضحك ليه ؟

على شاطئ البحرِ وفي غمرةِ الذكرياتِ تتنكرُ له أحلامُه القديمةُ ، يعبثُ بعلبِ أفلامِ النيجاتيفِ المهترئةِ يفضُّ أختامَها ، يفتشُ في دهاليزِ ذاكرتِه ، بخُفَي حنينٍ يعودُ ؛ فلم تعدْ للذاكرةِ تلك القنواتُ الرحبةُ ؛ لقد ضاقت شراييُنها إلا عن واقعٍ أليمٍ سرعان ما ينسى تفاصيلَه الآسنةَ ، تدورُ العينان لتصطدمَ بثلاثتِهم صبيةٍ مرمريةِ الجسدِ ينسدلُ شعرُها تمدُّ ساقيها تصدُّ بقدميها موجاتٍ متثائبةٍ ترتمي في أحضانِ الشاطئ الرملي لتنامَ ، تجلسُ إلى جوارِها امرأةٌ مترهلةٌ مختمرةٌ جامدةُ الملامحِ واجمةً لا تبدرُ منها أيُ حركةٍ ، تتكئ ثالثثُهم على منسأتِها عجوزًا تغطي عيناها نظارةٌ طبيةٌ سميكةُ ، يعتمرُ رأسُها شيبَ السنينِ التي خطت في وجهِها سطورَ فصولٍ كُثرٍ مضت ، وكلبُهم علَى رملِ الشاطئ باسطٌ ذراعيه ، ينزعُ نظارتَه عن وجهِه ؛ يرقبُهم عن كثبٍ ، فإذا بالنادلِ يضعُ للصبيةِ كوبَ ماءٍ غيرَ مكتملٍ ، وفي يدِه طبقٌ معدني رقيقٌ به بضعُ تمراتٍ يضعُه أمامَ المرأةِ المترهلةِ ، تمدُّ يدَها تمسكُ بإحدى التمراتِ تقضمُها ، يستديرُ ليضعَ أمامَ العجوزِ طبقًا بلوريًا مثقلاً بألوانِ الفواكِه الطازجةِ ؛ يعصفُه المشهدَ يحدثُ نفسَه

- تلك قسمةٌ ضِيزَى

تتشبثُ الصبيةُ بكوبِ الماءِ تكفيها جرعةٌ تنظرُ للكوبِ في حسرةٍ ، تمضغُ المرأةُ المترهلةُ التمرَ تبتلعُه غصةً في حلقِها ، وبينما يتصفحُ الجريدةَ يدهشُه رسمًا كاريكاتيريًا لحمارٍ فوقَ شجرةٍ يبيضُ بيضةً ذهبيةً و الطيورُ تسيرُ علي الأرضِ ، ربَّما لو حاول إقناعَ نفسِه أنَّ الحمارَ يمكنُه الوقوفُ فوقَ الشجرةِ ليبيضَ بيضةً ذهبًا ستتحسنُ الحالُ ، يطوي الجريدةُ يلحُّ على رأسِه سؤالٌ :

- هل يوجد أصلاً شيءٌ اسمُه بيضةٌ ذهبٌ ؟

يضحكُ البحرُ في حينِ تشيرُ له العجوزُ ؛ يتوجه إليها بينَ أشعةِ الشمسِ المتسللةِ برويةٍ وهدوءٍ ، ينفضُ عن كاهِله ما علق من عرقٍ امتزج برائحةِ الترابِ ، يتكئ على عصاتِه وبخطواتٍ متثاقلةٍ يتقدمُ يمعنُ النظرَ بعينين ضيقتين يسألُ نفسَه :

- تُرَى مَنْ تَكُونُ ؟

دعته للجلوسِ علَى الكرسي الخشبي يواجهُ البحرَ ، نظرت إليه وقد افتَرَّ ثَغرُها بَاسمًا ، خلعت نظارتَها السميكةَ وقالت :

- فاكر لمَّا كنت تعاكسني وأنا بالميني چيب ؟
- مَنْ ؟!

## ( 23 ) فنجان شاي

يَعُودُ فِي حَالٍ غَيرِ الحَالِ
جَسدًا بِلَا روحٍ ،
غَارِقٌ فِي دَوَامَةِ الوَهْمِ..
وفِي بَيتِ أُمِها يُصَافِحُون دُمُوعَها...

# فنجان شاي

مِثلُ فَرَاشَةٍ لَا تَسعُ الأرضُ روحَها ، تَبتَسِمُ العُيُونُ لِجَمالِها ، تَعشَقُ القُلُوبُ رَشَاقَةَ خُطوَتِها ، تَعصِبُ مِرآةُ الحُبُ عَينَيها ، تُقَيدُها بطفلَينِ مَعَ زَوجٍ لِمِزَاجِه فَقَطْ يَعيشُ ، وَحدَها مَعَ الصَّغِيرَينِ يُمَزِقُهم الجُوعُ والحِرمَانُ ..

- ألنْ تكُفَّ عَنْ النّزُولِ إلَى الدَّورِ الأرضِي عِندَ هَذَا الحَقِيرِ
- لَا تَتَدَخَلِي فِي مِزَاجِي
- أَلَا يَكْفِيك حَالُنا ؟ لَمْ يَعُدْ فِي البَيتِ شَيءٌ ، الجُوعُ يُبَعثِرُ كَرَامَتَنا
- أنَا خَارِجٌ .. جَسَدِي يَتَمَزَقُ
- لِلدَورِ الأرضِي كالعَادةِ

يَعُودُ فِي حَالٍ غَيرِ الحَالِ جَسدًا بِلَا روحٍ ، غَارِقٌ فِي دَوَامَةِ الوَهْمِ ..

وفِي بَيتِ أُمِها يُصَافِحُون دُمُوعَها ...

- اصبِرِي مِنْ أجلِ أولَادِك
- نَعيشُ أموَاتًا فِي كَهفٍ مُظلِمٍ يَا أُمي

يَأتِيها كُل لَيلَةٍ يَتَلَعثَمُ لِسَانُه ؛ يَعلُو صُرَاخُها فتُؤلِمُها رَأسُها ، ذَاتَ يَومٍ يُعِدُّ لَها الشَّاي تَشرَبُه تَغرِقُ مَعه فِي ذَاتِ الدَّوَامَةِ ، وتَمُرُّ لَيالِيهم نُسَخَاً مُكَرَرَةً دَاخِلَ نَفَقٍ سَرمَدِي مُظلِمٍ

حَتى كَان يَومٌ مِنَ الأيَامِ يُبَرِحُ جَسدَها آلامٌ ، تُوقِظُه ليُعِدَّ لَها مِن ذَاتِ الشَّاي ، تَبحَثُ فِي خَرائبِ البَيتِ بِجُنُونٍ عَنْ شَيءٍ تَبِيعُه ، لَمْ يَعُدْ فِي البَيتِ شَيءٌ يُبَاعُ

تَشتَدُّ بجَسَدَيهما الآلَامُ ، يَقتَرِبُ مِنهَا ؛ يَهمِسُ لَها ..

عِندَ بَابِ الشَّقَةِ فِي كَامِلِ زِينَتِها تَحتَضِنُ عَينَاها دُمُوعَ صِغَارِها ، تُسقِطُه مِنْ عَينَيها وتَمضِي لِتَنزِلَ للدَّورِ الأرضِي ..

## ( 24 ) مفتاح الشقة

يتملكُها الإحباطُ ؛
تلقي بناظريها إلى أحضانِ شاشتِها
تغوصُ في عالمِها الافتراضِي ،
يعتريها الحرمانُ ..

## مفتاح الشقة

- أما زلت ترفضُ أن تعطيني نسخةً من مفتاحِ شقتِك ؟
- هذا أمرٌ مرفوضٌ تمامًا .. أتركُه لك وقتَما تشاءُ .. أليس من المحتملِ أن تدخلَ الشقةَ وأنا نائمٌ فيها ؟
- احتمالٌ واردٌ .. إذا لا تنس أن تتركَ لي المفتاحَ فاليومُ معي صيدٌ جديدٌ
- أتمنى أن أعرفَ كيف تصيدُهم ، ألا تخشى أن تكشفَ زوجتُك أمرَك ؟
- هي غارقةٌ في هاتفِها وأنا لا أتركُ الهاتفَ من يدِي ولا مجالَ للكلامِ بيننا
- وهل هذه حياةٌ ؟
- ما دامت الأمورُ تسيرُ هادئةً لا تقلقْ يا صديقي
- أخشى عليك الوقوعَ ؛ فرصيدُ السترِ يومًا ما ينفذُ
- لو كنت مثلك عزبًا لقطفتَ كلَ يومٍ وردةً ؛ أمتصُّ رحيقَها ثم ألقيها وأذهبُ لأخرى
- لا يمرُّ الشهرُ إلَّا وتطلبُ مفتاحَ الشقةِ واضطَّرُ أنا للتسكعِ علَى المقاهِي حتى تنتهيَ من ارتشاف رحيق وردتِك
- الحياةُ منتهى اللذةِ ، والهواتفُ قد جعلت الأمرَ ميسورًا ، تتصيدُ الفريسةَ وتظلُّ تكذبُ وتكذبُ وتبالغُ في الغوايةِ ، تسمعُها ما لا تسمعُه من زوجِها حتى تقعَ في الفخِ
- وأنا أتركُ لك مفتاحَ الشقةِ وأتسكعُ .. أليس كذلك ؟
- هو كذلك .. هيا ناولني مفتاحَ الشقةِ
- أعطيك نسخةً منه ؛ تأتيها وقتَما تشاءُ على أن تعلمَني كيف تصيدهن
- أفعلُ ذلك ...

أمامَ شاشتِه الضيقةِ يمارسُ الغوايةَ مع صيدٍ جديدٍ ، وقد تاهت الحواراتُ مع زوجتِه لا يلتقيان ؛ كلاً في صمتٍ يغوصُ :

- أريدُ أن تتحدثَ معي ولو قليلاً ، أريدُ أن تحتويني وتشعرَني بوجودِي وأنَّني لست قطعةَ أثاثٍ فِي البيتِ
- نتحدثُ فِي ذلك فيمَا بعدْ يا " چي چي " ؛ ألَّا ترين أنني مشغولٌ
- هل يشغلك الهاتفُ عني إلى هذه الدرجةِ ؟ من فضلِك أريدُك لجوارِي ولو لحظاتٍ معدوداتٍ

- وقتٌ آخرٌ يا " چي چي "

يتملكُها الإحباطُ ؛ تلقي بناظرِيها إلى أحضانِ شاشتِها تغوصُ فِي عالمِها الافتراضِي ، يعتريها الحرمانُ ..

على الخاصِ يكتبُ له صديقُه

- لقد أوقعت بإحداهن كما علمتني
- هنيئًا لك ولا تنس أنني من علمك الصيدَ
- ماذا أفعلُ بعد ؟
- ادعوها لشقتِك وارتشفْ رحيقَها بلا ترددٍ
- ينتابُني الارتباكُ
- لأنَّها المرةُ الأولى .. لا عليك كنْ جسورًا اقتحمْ أسوارَها بالغوايةِ تشبثْ بصيدِك ..

ذات يومٍ يأتي ومعه نسخةٌ من المفتاحِ يدخلُ الشقةَ بصيدٍ جديدٍ

- لا أريدُ أن أتأخرَ على موعدِ عودةِ زوجي من العملِ
- لن نتأخرَ يا وردتي

وما إن انتهى من وردتِه فإذا بصوتِ البابِ يُفتَح

- كوني مطمئنةً .. إنَّه صديقي صاحبُ الشقةِ سأصرفه حالاً

يسرعُ شبه عاريًا ليخبرَ صديقَه أن يتسكعَ قليلاً حتى ينصرفان

يفتحُ الصديقُ البابَ :

- اتفضلي يا " چي چي " .. لن نتأخرَ يا وردتي .

## ( 25 ) الميدان

يَهتَزُ المَيدَانُ لهَديرِ الأمواَجِ ،
تَتَزَلزَلُ عرُوشُ الأرضِ ،
تَنقَلِبُ المَوَازِينُ ،
تَتَصَاعدُ الأدخِنَةُ سُحبًا تَحجِبُ الرُّؤيَةَ

# الميدان

عَلَى الأمَلِ يَعيشُ ، لَا يَجِدُ مَوضِعَ قَدَمٍ لَه مُنذُ تَخرَج فِي الجَامِعةِ ، يُلَاحِقُ الأيَامَ المُسرِعَةَ ، يَطرُقُ أبوَابَ الثلَاثِين عَاطِلاً مُضطَرًا للقَبُولِ بِأي عَملٍ مُؤقَتٍ ، يَقتَاتُ مِنه ؛ حَتَى تَأتِيه الأيَامُ بِمَا اجتَهد وصَبر مِنْ أجلِه ، ويُنَاسِبُ مُؤهِلَاتِه ، وكُلَّمَا قَسَت عَلَيه الأيَامُ تَذَكَّر مَا تَعلَّمَه

- حِبْ مَا تَعمَل حَتَى تَعمَلُ مَا تُحِبُ

ورُغم ذلك لمْ يَجدْ سِوَى العَمَلِ المُؤقَتِ يَستَنزِفُ قِوَاه الجَسدِيةَ والعَقلِيةَ ، بَدَأ الشَّيبُ مُبَكِرًا يَعبَثُ لَاهيًا فِي رَأسِه ، وشُعلَةُ الأمَلِ يَخفُتُ ضَوؤهَا ، يَمضِي بَاحِثًا عَنْ مَوضِعِ قَدَمٍ بِلا جَدوى

ذَات صَباحٍ تَعَالت الأمواَجُ الهَادِرَةُ ؛ تَبحَثُ عَنْ بَرِ الأمَانِ ، فصَار قَطرَةً بَينَ الأمواَجِ تَصرُخُ ؛ رُبَّمَا وَجدَت مَا تُحبُ ، تَتَقِدُ جُذوَةُ الأمَلِ تَتَوَهجُ ، يَهتَزُ المَيدَانُ لهَديرِ الأمواَجِ ، تَتَزَلزَلُ عرُوشُ الأرضِ ، تَنقَلِبُ المَوَازِينُ ، تَتَصَاعدُ الأدخِنَةُ سُحبًا تَحجِبُ الرُّؤيَةَ ، تَلتَفُ السَّاقُ بِالسَّاقِ ؛ يَسقُطُ تَدهَسُه السَّيَارَةُ الكَبيرَةُ ؛ تُفتِتُ عِظَامَ سَاقيه

تَفتَحُ أبَوابُ الأربَعينِ ، يَفتَرِشُ الرَّصِيفَ مَبتُورَ السَّاقين

## ( 26 ) ربيع الفراشات

وبخوفٍ يتملكُها وجوعٍ يمزقُها
تذهبُ للزهرةِ اليانعةِ
فتديرُ لها وجهَها
تلملمُ وريقاتِها
تمنعُها الرحيقَ

# ربيع الفراشات

في يومٍ من أيامِ الربيعِ تطلُّ فيه شمسُ النهارِ تصافحُ الحديقةَ ، تعانقُ أشعتُها الدافئةُ الزهراتِ ، تسبحُ الفراشاتُ فِي موجاتٍ تمتزجُ بروائعِ الألوانِ ، تحملُها نسائمُ العطرِ ، يحفُّها شدوُ الطيورِ ، تخرجُ فراشةٌ من الشرنقةِ تعانقُ نورَ الحياةِ بجناحين تتراقصُ فيهما الألوانُ على لحنِ الجمالِ ، تتأهبُ لأي زهرةٍ يانعةٍ ؛ تأمنُ بينَ أوراقِها الناعمةِ وتقتاتُ شهدَ رحيقِها ، يخيفُها ذلك الرابضُ في الحديقةِ كلَّما اقتربت منه يطاردُها ، قطٌّ يزجُّه جوعُه للجنونِ ، يعدو في أثرِها يُرجِؤها للتحليقِ عاليًا ؛ فلا تنالُها مخالبُه ، وبخوفٍ يتملكُها وجوعٍ يمزقُها تذهبُ للزهرةِ اليانعةِ فتديرُ لها وجهَها ، تلملمُ وريقاتِها ، تمنعُها الرحيقَ ، فلا تجدُ سوى الساقِ تحطُّ عليها ، فمن عذوبةِ الأوراقِ إلى أُجاجِ الأشواكِ تزجُّ بها تلك الزهرةُ :

- لا أحتاجُ سوى بعضِ رحيقٍ يقيمُ رَمقي ، والأمانُ بينَ أوراقِك من مخالبِ القطِ الشرسِ
- أنتِ مجردُ فراشةٍ لا وزنَ لك ولا أثرَ .. اذهبي عني .

ذهبت الفراشةُ يغضبُها خذلانُ الزهرةِ لها ؛ تجمعُ الفراشاتِ ، وأمامَ القطِ يرفرفنْ بأجنحتِهن ؛ فيندفعُ بعنفٍ ورعونةٍ في أثرِهن ، تقودُ الفراشةُ مثيلاتِها إلى الزهرةِ المتغطرسةِ ؛ فيقفزُ القطُ عاليًا لينالَ منهن فيقعُ فوقَ الزهرةِ تتمزقُ أوراقُها تتحطمُ ساقُها تدميه الأشواكُ تؤلمُه ، تحلقُ الفراشاتُ عاليًا ؛ فلا يقعنْ بينَ مخالبِ القطِ الجائعِ ، ينتهي أمرُ الزهرةِ و يرحلُ عن الحديقةِ القطُ يلعقُ جراحَه ، تسعدُ الفراشاتُ بأجواءِ الربيعِ ، تخرجُ الحلازين رؤوسَها من قواقعها تسأل

- متى للوصولِ ؟

تجيبهم الفراشة

- تصلون حينما تبدأون .

## ( 27 ) بين قوسين

بعقلٍ شاردٍ يتفقدُ المكانَ ، بوجهٍ باهتٍ
مثلَ كلِ الأشياءِ المبعثرةِ في كلِ مكانٍ
تقبعُ روحُه في خيمةِ الصمتِ

# بين قوسين

يضعُ المفتاحَ في ثقبِ البابِ يدخلُ بهدوءٍ ثُمَّ يغلقُه وراءَه بلا مبالاةٍ ، يجلسُ بصمتٍ على المقعدِ القريبِ ، يلقي بثقلِ متاعبِه ، يخلعُ غباءَ التفاصيلِ اليومِيةِ ، يتنهدُ بعمقٍ فيخرجُ الهواءُ الراكدُ داخلَ كهوفِ صدرِه يحرقُ صورَ الحياةِ المفقودةِ المعلقةِ على الحائطِ الحزينِ ، بعقلٍ شاردٍ يتفقدُ المكانَ ، بوجهٍ باهتٍ مثلَ كلِ الأشياءِ المبعثرةِ في كلِ مكانٍ تقبعُ روحُه في خيمةِ الصمتِ ، تضجُّ الجدرانُ بضجيجِ أفكارِه تحدقُ فيه وهو يكابدُ ليروي ظمأه بأمنياتٍ قدْ وضع عليها المزيدَ منَ السكَّرِ ليجدَ حلاوةَ العيشِ ، يسألُ الشمسَ الابتسامةَ أو رغيفَ الخبزِ حبيسَ الشقِ الضيقِ ، وحدَه في الحياةِ أمامَ الأمطارِ يرتعدُ ؛ فليس للنملِ خياشيمُ ، يعيشُ في شقِ الحائطِ يتجولُ في عالمِه المحدودِ تفزعُه الرياحَ ؛ فليس للنملِ أجنحةٌ ، عالمُه كلُّه في هذا الشقِ الضيقِ ، يحاولُ جاهدًا أن يقيمَ رمقَه بذلك الفتاتِ من الخبزِ ، وحدَه ينصتُ لكلماتِه الخرساءِ ، يغلقُ على نفسِه درقتَه ، تزحفُ عيناه إلى ساعةِ الحائطِ ترقبُ مع دقاتِها زمناً مزيفاً ، يبحثُ عن زمنٍ حقيقي في دقاتِ قلبِه ونبضِ إحساسِه ، يتكومُ تحتَ الأغطيةِ يضاجعُ أماني تصيرُ دخانًا إلى خارجِ الشقِ الضيقِ ، يبتلعُها كونٌ فسيحٌ يخشاه ، ينتهي يومُه على فتاتِ خبزٍ ..

( يثورُ .. يثرثرُ .. يتأقلمُ ) .

## ( 28 ) أمانة عليك

ينسابُ لمسامعِي صوتٌ حاني لعجوزٍ
عجز الزمانُ أن يمحوَ ما تبقى
من جمالِ قسماتٍ كانت لتنافسَ
نجماتِ السينما في شبابِها

# أمانة عليك

إلَى جوارِ نافذةِ المقهى العتيقِ ، تلتقطُ عيناي العابرين ، تنهلُ أذناي نغماتٍ من الراديو يغني معها " كارم محمود "

- " أمانة عليك .. يا ليل طول ... وهات العمر م الأول "

ينسابُ لمسامعي صوتُ حاني لعجوزٍ عجز الزمانُ أن يمحوَ ما تبقى من جمالِ قسماتٍ كانت لتنافسَ نجماتِ السينما في شبابِها ، يقفُ معَها مسنٌ احدودب ظهرُه بما ينوءُ من أحمالِ العمرِ الطويلِ

- لا تنس دواءك وسأحضرُ لك الغداءَ في الدكانِ
- سنواتٌ طويلةٌ لم تفوتي يومًا
- كلُ يومٍ تسمعُني نفسَ الكلامِ
- ولنْ أملَّ التكرارَ
- قلت لك من البدايةِ عشْ أنت واتركني لأخوي القعيدين ..
- لا عيشَ بدونِك ، كنَّا نتزوجُ ونرعاهما معًا
- بالزواجِ تفترُ هِمَّتي وأنا قررت أن أكونَ لهما العِوَضَ عنْ اليتمِ
- الحملُ ثقيلٌ عليك ، حتى أنا تحملين همي

- ألست خطيبي ؟
- ألا تكفيك خمسون سنةً خِطبة ؟
- سأعيدها على مسامعِك مثل كلِ يومٍ " لنْ أفلِت يدَي حتى يُواريني التراب "
- وأنا لنْ أكونَ لغيرِك
- ماذا تحبُ أن تأكلَ اليوم ؟
- كلُ ما تحبيه أحبُّه يا بنتَ عمرِي

تزدادُ حمرةُ وجنتيها وبابتسامةِ الخدرِ

- أفوتُك بالعافيةِ يا ابنَ عمرِي
- سنعبرُ معًا الطريقَ

يتوكآن على بعضِهما ، ترافقُهما عيناي ، روحٌ واحدةٌ فِي جَسَدَين أعفَّهما الحُبُّ ، يبسِطُ كلٌ منهما جناحَه على الأخرِ ، لقَدْ رأيت بعيني عجوزين في دروبِ الحياةِ يتحديان الزمنَ .

ينبعثُ من الراديو صوتُ " أم كلثوم " تشدو

- وآه يا ليلي آه .. ع الوعد والمقسوم

مُنتَفِضًا فِي مكانِي :

- الحساب لو سمحت .

## (29 ) البدلة الشركسكين

يعلنُ الرئيسُ تأميمَ الشركةِ العالميةِ
لقناةِ السويسِ شركةَ مساهمةً مصريةً ،
يسعدُ " لنيادو"
أيُّما سعادةً كَونَه مصريًا ،
تمرُّ الشهورُ الساخنةُ
تزدادُ وتيرةُ التوترِ
يسيطرُ علَى " لنيادو" القلقُ

# البدلة الشركسكين

فِي صباحٍ معتادٍ أسرةُ " لنيادو " تتناولُ فطورَها ، يذيعُ الراديو فشلَ مفاوضاتِ مصرَ مع البنكِ الدولي لتمويلِ مشروعِ السدِ العالي ، تقرأ " بوليني " فِي عيونِ " لنيادو " القلقَ الذي بدا عليه .. الصغيرةُ " لوسيت " تملأها الفرحةُ فاليومُ ستقدمُ أمُها الأوراقَ لتلتحقَ بمدرسةِ " الليسيه " في كامب شيزار ، وفِي المساءِ سيشاهدون فيلم " إزاي أنساك " لفريد الأطرش فِي سينما " راديو " ، ويتناولون عشاءهم فِي مطعمِ " على كيفك " ، يصلُ لنيادو لدكانِه فِي حَي العطارين مرتديًا البدلةَ الشركسكين البيضاءَ ، يرتبُ الأسطواناتِ ، يديرُ أسطوانةَ " قصة حبي " ينسابُ من بوقِ الجرامفون صوتُ أم كلثوم

- ذكريات ..
- كيف أنساها وسمعي لم يزل يذكر دمعي
- كيف أنساها وقلبي لم يزل يسكن جنبي
- إنها قصة حبي

تفتَّرُ شفتاه عن ابتسامةٍ يغلفُها الشجنُ ، وفِي العصرِ يأتيه صديقاه الحاجُ " أحمد أبو كريشة " تاجرُ الأنتيكاتِ ، و" جيد عبد السيد " الصائغُ ، يرتشفون القهوةَ يفصحُ لهم عن مدى استيائه من فشلِ مفاوضاتِ البنكِ الدولي

- أنا مصري يهودي يا حاجُ أحمد .. لست صهيونيًا يا جيدُ ، لا أعرفُ لي وطنًا غيرَ مصرَ

يعلنُ الرئيسُ " جمال عبد الناصر " تأميمَ الشركةِ العالميةِ لقناةِ السويس شركةً مساهمةً مصريةً ، يسعدُ " لنيادو " أيَّما سعادةً كَونَه مصريًا ، تمرُّ الشهورُ الساخنةُ ، تزدادُ وتيرةُ التوترُ يسيطرُ علَى

لنيادو القلقُ ، عدمُ الأمانِ يحملُ لجسدِه القشعريرةَ ، فيرى ما خلفَ مرايا الواقعِ ، تحملُه هواجسُه إلي واقعٍ يشوبُ المشهدَ ضبابيةً قاتمةً ، يخيمُ عليه الخوفُ مع اجتياحِ الصهاينةِ حدودَ سيناءَ ، تندلعُ الحربُ تغزو فرنسا وبريطانيا بور سعيد ، يبيتُ أملَ البقاءِ فِي مصرَ عقيمًا ، يأتي أحدُ الأصباحِ المطيرةِ ليجدَ دكانَه وقد التهمته النيرانُ ، تُجهَضُ الأحلامُ ، يَحتضرُ الأملُ ، يعودُ من مصلحةِ الجوازاتِ والجنسيةِ ينوءُ ظهرُه بثقَلِ شعورِ الاغترابِ ، مع " بوليني " و " لوسيت " :

- لم يعدْ لنا بقاءٌ في مصرَ ..

في المساءِ تخرجُ الأسرةُ من سينما " ريو " بعدَ مشاهدةِ فيلم " دليله " لعبد الحليم حافظ وشادية ، يتناولون العشاءَ في مطعمِ " على كيفك " ، يقضون ليلتَهم الأخيرةَ على كورنيشِ الإسكندريةِ حتى نامت الأمواجُ على صدرِ شواطئها ، تعيشُ أسرةُ " لنيادو " الساعاتِ الأخيرةَ مع بكاءِ نجومِ ليلِهم التعسِ ، صباحًا تصافحُ دموعُ " بوليني " جاراتِها ، و" لوسيت " غارقةُ فِي حزنِها الدفينِ ؛ فلن تلعبَ مع رفيقاتِها بعدَ الآنَ ، ولن تذهبَ لمدرسةِ " الليسيه " ، في ميناءِ الإسكندريةِ وعلى سطحِ السفينةِ المتجهةِ إلى " أمريكا " يعوي صفيرُ السفينةِ معلنًا التحركَ ، تكفكفُ " بوليني " دموعَها ، تحتضنُ صغيرتَها " لوسيت " ، و" لنيادو " في البدلةِ الشركسكين البيضاء يطلقُ ناظرتيه تحلقان فِي سماءِ الإسكندريةِ تُعانقُ بناياتِها ، فما من ترياقٍ يداوي هذا الكَمَّ العرمَ من آلامِ الفراقِ ، تبحرُ السفينةُ ، يسقطُ " لنيادو " ممددًا ترتمي عليه " بوليني " تصرخُ :

- لنيادو

تنكمشُ " لوسيت " في نفسِها تتراجعُ للخلفِ فزعةً باكيةً .

## ( 30 ) شهريار في المدينة

فالمدينةُ لا تنسى الفوضى
التي خلَّفها يومَ غادرَها من سنواتٍ
ليست ببعيدةٍ ، أسرعت المدينةُ يومئذٍ
تغطي ما خلَّفه من دماءٍ بالرمالِ
ظنا منها أن الرمالَ تشربُ الدمَ

# شهريار في المدينة

في المدينةِ الكوزموبوليتانية يخرجُ أهلُ المدينةِ للكورنيشِ كما اعتادوا في تناغمٍ فريدٍ تذوبُ بينهم الفواصلُ ، واليومُ ليس مثلَ كلِ يومٍ ؛ مانشيتاتُ الصفحاتِ الأولى تعلنُ وصولَ شهريار للمدينةِ ، - يا للمصيبةِ - تتوارى الشمسُ خلفَ السحبِ الخرساءِ التي أغمضت عينيها ، الأمواجُ في انتحارٍ جماعي على رمالِ الشاطئ تكره أن تنطقَ ببنتِ شفةٍ ، يسيرُ أبناءُ المدينةِ وقد تصنعَ كلٌ منهم الابتسامةَ يخفي وراءَها ما دفنَه من هواجسٍ لوصولِ شهريار للمدينةِ التي احتضنت هلالَ السماءِ وسمعت دقاتِ الأجراسِ ونفخاتِ الأبواقِ يومًا ما، لا أحدَ يقرأ الصحفَ التي تنوءُ بأخبارِ الدمِ الذي يرافقُ خطواتِ هذا الشهريارِ ، فالمدينةُ لا تنسى الفوضى التي خلَّفها يومَ غادرَها من سنواتٍ ليست ببعيدةٍ ، أسرعت المدينةُ يومئذٍ تغطي ما خلَّفه من دماءٍ بالرمالِ ظنا منها أن الرمالَ تشربُ الدمَ فتتناسى بطشَه الأسودِ وما تركَه من خرابٍ في النفوسِ ، وتعودُ المدينةُ لدروبِ النسيانِ ربَّما بزغت شمسُها من وراءِ الحُجبِ ، وما إن تنبشَ أيدي الأطفالِ الرمالَ حتى تتكشفَ دماءٌ لم تجفْ ، تسألُ الأطفالَ مدينتَها تريدُ المكاشفةَ ، تثقلُ الألسنةَ أقفالٌ علاها الصدأ ينادي أحدُهم :

- هَلُمُوا نعيدُ الأمواجَ للبحرِ فلا تموتُ

- تعفنُ الأمواجِ على الشاطئ يزكمُ الأنوفَ

- أسرعوا وادفعوا بالأمواجِ إلى البحرِ اردموا الدماءَ بالرمالِ

تسرعُ المدينةُ يدًا واحدةً تتحركُ الرمالُ تحتَ أقدامِها فتخضبَها الدماءُ ، شهريار القادمُ من بلادِه القاحلةِ يطعنُ الأمواجَ بخنجرِه المسمومِ ، تتلونُ مياهُ البحرِ بالحمرةِ ، تتقهقرُ المدينةُ عن الشاطئ مخافةَ بطشِه ، تتحطمُ الأبواقُ تسقطُ الأجراسُ يتوارى الهلالُ بينَ السحبِ الخرساءِ ، نحيبٌ وعزاءٌ يملأ جنباتِ المدينةِ ، تنبحُ الكلابُ مهرولةً في الحاراتِ المظلمةِ ، ذاقَ البحرُ مِلحَ العيونِ ، وما إنْ يغادرُ شهريار المدينةَ ، يهرولُ الجميعُ ليهيلَ الرمالَ فوقَ الدماءِ ربَّما شربت الرمالُ الدماءَ فتخفيها ، تصرخُ الأطفالُ

- لماذا نغطي الدماءَ ؟! كفاكم صمتًا ، فليبزغْ الهلالُ بدرًا ولتدقْ الأجراسُ عاليًا ولتنفخْ الأبواقُ .. ضعوا رقبةَ شهريار تحتَ المقصلةِ تعودْ لكم مدينتُكم الكوزموبوليتانية .

## ( 31 ) دفتر حضور وانصراف

يرتدي أمامَ المرآةِ معطفَه
يضعُ على عينيه نظارتَه الطبيةَ
يجمعُ أوراقَه المبعثرةَ داخلَ الحقيبة
ينظرُ في ساعتِه
عقاربُ الساعة قد توقفت

# دفتر حضور وانصراف

رنينُ المنبهِ يتسللُ لأذنيه ؛ ينتفضُ من سريرِه يتأكدُ من الوقتِ ، يتحاملُ على جسدِه المترنحِ ، يطرقُ نافذةَ الحمامِ برفقٍ ضوءُ النهارِ الوليدِ ، ينظرُ في صفحةِ المرآةِ يتفحصُ صورتَه ، يفردُ بكفِه تجاعيدَ وجهِه يرفعُ كفَه عن وجهِه فتعودُ التجاعيدُ أدراجَها ، تراقبُ عيناه من خلف أجفانِه المنتفخةِ شيبًا احتل رأسَه في غفلةٍ من الزمنِ ، يرتدي أمامَ المرآةِ معطفَه ، يضعُ على عينيه نظارتَه الطبيةَ ، يجمعُ أوراقَه المبعثرةَ داخلَ الحقيبةِ ، ينظرُ في ساعتِه ، عقاربُ الساعةِ قد توقفت فيدركُ أن عليه الإسراعَ فقد يتأخرُ على دفترِ الحضورِ والانصرافِ ، ينطلقُ في الطريقِ الموحلةِ ، تحفُه الأشجارُ الضخمةُ من الجانبين ، تتدلى منها الأغصانُ الجافةُ تتعلقُ بمعطفِه ؛ تضطرُه للانحناءِ والسيرِ حبوًا ، وفي نسخةٍ مكررةٍ من أيامِه تنتابُه نشوةُ الانتصارِ المعتادةُ ؛ فهو أولُ من يوقّعُ في الحضورِ ، يجلسُ مع أوراقِه يلقي رأسَه بينَ الحروفِ والأرقامِ لا يرفعُها إلا مع رنينِ جرسِ الانصرافِ ، يرتدي معطفَه ، يلملمُ أوراقَه يحملُ حقيبتَه ، هو أخرُ من يوقّعُ في الانصرافِ كما اعتاد ، وفي الطريقِ الموحلةِ بينَ الأشجارِ الضخمةِ تضطرُه أغصانُها الجافةُ للانحناءِ والسيرِ حبوًا فلا تشتبكُ بمعطفِه ، يفتحُ بابَ الشقةِ ليجدَ أهلَه يتوشحون السوادَ وكأن على رؤوسِهم الطيرَ، يلقي السلامَ فلا أحدَ يردُّه ، ينادي فلا يجيبُ نداءه أحدٌ ، يدخلُ حجرتَه فيجدُ معطفَه معلقًا ونظارتُه بجوار الحقيبةِ على المنضدةِ ، يقفُ مشدوهًا أمامَ صفحةِ المرآةِ فلا يرى صورتَه .

## ( 32 ) تنين وأرانب

تتحلقُ الأرانبُ عندَ الشجرةِ الكبيرةِ
تعلو ضحكاتُ الصغارِ
لرقصاتِ القرودِ البهلوانيةِ
وبعدَ أن تنامَ تحكي القرودُ
للكبارِ أخبارَ الغابةِ

# تنين وأرانب

لم يكترثْ " بيدبا " لحرقِ قراطيسِه يومَ رأى الخوفَ الجاثمَ على صدورِ أهلِ القريةِ ، فأحضر محبرتَه يغمسُ اليراعَ فيما تبقى من حبرٍ ؛ ليكتبَ للملكِ " دبشليم" يحكون في غابتِنا يحكون في شجنٍ عن أرنبٍ شابٍ في وادي الأرانبِ ، كان ذلك الوادي مطمئنًا تزرعُ الأرانبُ الخسَ والجزرَ يكفيهم ، يقضون يومَهم في عملٍ وكدٍ ؛ فلا يعرفون عن الغابةِ شيئًا فنادت سيدةُ الأرانبِ في الوادي

- الصغارُ أصابهم الملُ والكبارُ اعتراهم الكللُ
- وماذا تقترحين ؟
- نأتي بقرودٍ تطوفُ الغابةَ نهارًا ، وفي المساءِ نتجمعُ عند الشجرةِ الكبيرةِ تحكي لنا القرودُ أخبارَ الغابةِ ؛ فتبددُ كللَ الكبارِ وتأتي بحركاتِها البهلوانيةِ فتسلي الصغارَ، ونمنحُها في المقابلِ الخسَ والجزرَ
- نِعمَ الرأي

بعدَ عملٍ وكدٍ ينقضي النهارُ تتحلقُ الأرانبُ عندَ الشجرةِ الكبيرةِ تعلو ضحكاتُ الصغارِ لرقصاتِ القرودِ البهلوانيةِ ، وبعدَ أن تنامَ تحكي القرودُ للكبارِ أخبارَ الغابةِ يسعدُها ما تنالُ من خسٍ وجزرٍ ، وتمضي الحياةُ في وادي الأرانبِ ..

وذاتَ يومٍ تأتي الضباعُ تطلبُ الجوارَ من الأرانبِ فترحبُ بها وتقدمُ لها الخسَ والجزرَ ، يهمسُ كبيرُ الضباعِ إلى قبيلتِه

- نحن لا نأكلُ الخسَ والجزرَ
- إذنْ نهجمُ على الأرانبِ ونأكلُها
- هذا لا يضمنُ لنا الطعامَ سوى يومٍ واحدٍ فقط ؛ لأنَّ الأرانبَ حتمًا ستهربُ ، ونحن نريدُ أن نؤمنَ لأنفسِنا مصدرَ طعامٍ متجددٍ

- وما الحلُ إذنْ ؟
- اتبعوني أقل لكم ما تفعلون ؟

وبينَما الأرانبُ منهمكةٌ في العملِ ، يشقُ صوتُ كبيرِ الضباعِ واديهم وقد أمسكَ بأرنبٍ محترقٍ

- أيتها الأرانبُ لقد حلَّ على الغابةِ تنينٌ يقذفُ بنيرانِه الأرانبَ فيحرقَها

ينتابُ الأرانبَ الرعبُ تكادُ قلوبُها تنخلعُ من الهلعِ

- لا تخافوا سوف نحميكم من نيرانِ التنينِ على أن تؤمنوا لنا الغذاءَ اليومي
- نحن لا نملكُ سوى خسٍ وجزرٍ وأنتم تأكلون لحمًا
- قدموا لنا كلَ يومٍ أرنبًا نأكلُه وإلا رحلنا وتركناكم للتنينِ

يخرجُ من بينَ الأرانبِ أرنبٌ شابٌ

- أيتها الأرانبُ الضباعُ كاذبةٌ فلا تصدقوها ، فالتنينُ خرافةٌ لا وجودَ له

فجأةً يختفي هذا الأرنبُ ثم يجدونه محترقًا ، في المساءِ وعندَ الشجرةِ الكبيرةِ القرودُ فوقَ الشجرةِ تأكلُ الموزَ بدلَ الخسِ والجزرِ ، تقسمُ وتؤكدُ للأرانبِ أنَّ وراءَ احتراقِ الأرنبِ الشابِ تنيناً حطَّ على الغابةِ وعليهم الانصياعُ للضباعِ وإلَّا أحرقتهم نارُ التنينِ .

بكوا في أولِ الأمرِ ثم أِلفوه وتعوَدوا

- أيها الحراسُ
- أمرُ مولاي دبشليم ...

## ( 33 ) صندوق الدنيا

بَينَمَا هُوَ يَتنَقَلُ بَينَ ظِلَالِ أفكَارِه ،
كُلَّمَا استَظَلَّ بإحدَاهُنْ لبَعضِ الوَقتِ
يَنتَفِضُ مُسرِعًا ليَستَظِلَّ بِالأُخرَىَ ؛
فكُلُ ثَابِتٍ لَدَيه لَا يَستَحِقُ المُكُوثَ فِيه طَوِيلاً

# صندوق الدنيا

دَاخِلَ الصُّندُوقِ يَقبَعُ الجَمعُ ، لَا أثَرَ لِلحَيَاةِ فِيهِمْ سِوَى شِفَاهٍ تُتَمتِمُ ولِسَانٍ يَلغُو؛ تَتَدَاخَلُ الأصوَاتُ ، لَا أُذُنَ تَسمَعُ ، ولَا عَقلَ يَعِي ، العُيُونُ لَا تَرقَى خَارِجَ الصُّندُوقِ ، بَينَمَا هُوَ يَتنَقَلُ بَينَ ظِلَالِ أفكَارِه ، كُلَّمَا استَظَلَّ بإحدَاهُنْ لبَعضِ الوَقتِ يَنتَفِضُ مُسرِعًا ليَستَظِلَّ بِالأُخرَى ؛ فكُلُ ثَابِتٍ لَدَيه لَا يَستَحِقُ المُكُوثَ فِيه طَوِيلاً ، يَرفُضُ الأنمَاطَ المُتَحَجِرَةَ والآليَاتِ الآسِنةِ والأفكَارَ الراكِدَةَ ؛ يَنفُرُ مِنهَا ، تُحَلِقُ عَينَاه خَارِجَ الصُّندُوقِ ، يَرقَى عَقلُه عَالِياً يُحَلِقُ بَحثًا عَنْ ظِلٍ مُغَايرٍ خَارِجَ الصُّندُوقِ يَستَظِلُ بِظِلِه ، كُلُ ذَلِكَ جَعَلَه يَبتَعِدُ عَمَّنْ يُجَاورُونَه فِي الصُّندُوقِ مَهمَا تَحَلُّوا بِجَمَالِ الصُّورَةِ وحُسنِ الهِندَامِ وبَيَانِ اللِّسَانِ ، فمَا عَادَ يُثِيرُ دَهشَتَه سِوَى مَا يَدفَعُه أنْ يَستَظِلَّ بِظِلِه مَهمَا كَانَ مُغَايرًا لطَبَائِعِ مَنْ فِي الصُّندُوقِ ؛ فَكَانَ يَنفُرُ مِنْ كُلِ آلِياتِ الصُّندُوقِ المَحفُوظَةِ عَنْ ظَهرِ قَلبٍ ؛ مِمَّا يُزِيدُ البَونَ اتسَاعًا بَينَه وبَينَ مُحِيطِه التَّقلِيدِي ، والمَعِيشَةِ الرَّتِيبَةِ التِي تَتَكَرَرُ مَشَاهِدُهَا فِي الصُّندُوقِ ، يُحَاوِلُون مَعَه بِشَتَّى السُّبُلِ أنْ يَتَّبِعَ مَنهَجِيَتَهمْ فِي التَّعَايشِ مَعَ قَوَانينِ الصُّندُوقِ ، ولَكِنَّه يَجِدُ فِي عَقلِه وظِلَالِ أفكَارِه المِسَاحَةَ الكَافِيَةَ لاستِنشَاقِ نَسَائِمِ الحُرِيَةِ :

- لَابُدَّ أنْ تَحفَظَ دَورَك المَرسُومَ لك ، وتُؤدِيه وَفْقَ قَوَانينِ الصُّندُوقِ
- إنَّ فِي مَنهَجِيَتِكمْ زَوَالاً لِظِلَالِ أفْكَارِي
- لَا تُغَرِدُ مُنفَرِدًا ، عَليك أنْ تَرضَخَ لمَعِيشَتِنَا وقَوَانِينِ الصُّندُوقِ
- فِي تَفرُدِي حَيَاةٌ لِرَوحِي
- مَاذَا تَقصِدُ بِحَيَاةٍ ؟
- سَأُحَلِقُ خَارِجَ الصُّندُوقِ ، وأستَظِلُّ بِأفكَارِي ، وأحيَا كَمَا أُرِيدُ أنَا ولَيسَ كَمَا تُرِيدُون أنتُمْ لِي

فِي رُكْنِ الصُّندُوقِ وَحِيدًا يُغرِدُ مُنفَرِدًا ؛ تَحجُبُ أصوَاتُهمْ المَشْرُوخَةُ نَغَمَ ألحَانِه ، يُحَاوِلُ ويُحَاوِلُ رُبَّمَا كَانَت لِألحَانِه صَدَى ؛ فتُغيرُ سُوءَ مَا يَعِيشُوه ..

وذَاتَ صَبَاحٍ فِي رُكْنِه وَحِيدًا ؛ تَتَعَالَى الهَمهَمَاتُ ، تَتَدَاخَلُ الأصوَاتُ ، يَعلُو نَعيقُ الحَنَاجِرِ :

- ألقُوا جُثمَانَه خَارِجَ الصُّندُوقِ

صَوتُ الرَّاوِي :

- دُنيَا وفِيهَا كُل اشِي .. وكُل مِن جَاهَا مِشِي
وتُوتَة تُوتَة وفِرغِت الحَدُوتَة

# ( 34 ) النـــهـــايــة

" لا تَجزَعُ فقَدْ يَنفتِحُ البَابُ عَلَى مِصرَاعَيه ذَاتَ يَومٍ ، رضاءً لِمَنْ يَخُوضُون غِمَارَ الحَيَاةِ صَابرِين . "

سمير لوبه

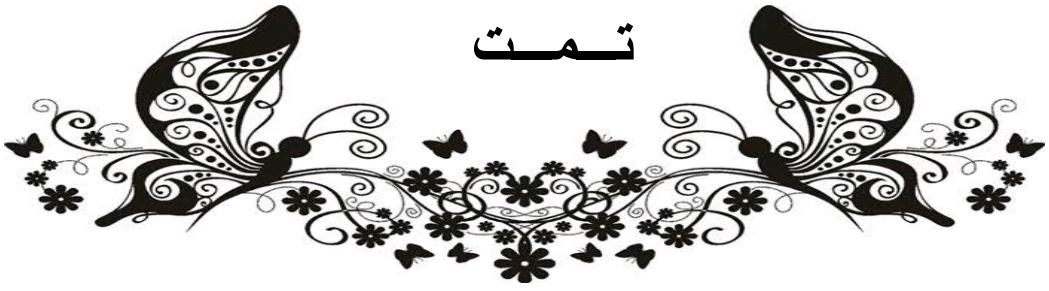

## قراءات نقدية لقصص المجموعة

كتب الأديب والناقد المصري الأستاذ « السيد طه » :

مع سمير لوبه .. ورائعته "ظمأى ...

تمهيد ..

منذ أن تشرفت بصداقته وانا أتابع أعماله عن كثب وأقرؤها على مهل وبعد فراغي من قرائتها أحدث نفسي كيف لي أن أعلق على قصصه وإبداعه .!؟ هل أكتب تلك التعليقات سابقة التجهيز والتعليب التي نكتبها على أي عمل أدبي منشور !؟ ثم أرى بيني وبين نفسي أنه من الإجحاف لهذا الإبداع أن يكون رد فعلي عليه بهذا المنطق "المعلب" وان التقدير الحقيقي لهذا الإبداع أن يكون لكل عمل منه دراسته النقدية الخاصة به . والحقَّ أقول أنه كثيراً ما احتفظت بإحدى هذه الروائع وآليت على نفسي بضرورة الكتابة عنها ولكن تشاء الأقدار وتأتيني بما يشغلني عن ذلك حتى استوقفتني " ظمأى" وتشبثت بتلابيب وجداني وأقسمت عليَّ ألا تغادرني دون الطواف حولها والتعبير عن لقائها (قبل أن تتركنا وتغادر) فما استطعت عنها فكاكاً ولا أردت لها صوماً تكفيراً عن قسمها ولا سيما أنها "ظمأى" ورأيت قبل الولوج لرحابها أن أوضح أن مبدعها " لوبه " من الثراء الفكري والثقافي والمعرفي بمكان رفيع فهو ليس مجرد قاص له منتوجه الخاص من هذا النمط الأدبي النثري ولكنه ناقد بصير له رؤيته العميقة القادرة على احتواء واستحلاب النص الأدبي والغوص في جمالياته والالتفاف حول محسناته واستخراج فرائده وبدائعه اللغوية وتأويل رموزه وتفسير مغاليقه وقراءة مابين سطوره واستنطاق المسكوت عنه فيه وتدوين شهادة تصنيفه وانتسابه لمدرسته النقدية التي ينتمي إليها وذلك مما يشكل عبئاً "أدبياً" على كل من يقترب من إبداعه ويتعرض له بالقراءة والتحليل لأن " لوبه " لن يستقبل تلك القراءة بعين المبدع القاص ولكنه سيقرؤها بعين فكره وذائقته النقدية الرفيعة ...

لا يجد المتابع لنصوص " لوبه " صعوبة في اكتشاف اتكائه على عاملين أساسيين في إبداعه القصصي " القصير" وهما الصورة الرمزية الشعرية

والتكثيف اللغوي المعبر عن تصاعد الأحداث في غير خلل لذلك تبدو معظم قصصه وكأنها قصيدة نثر وهذا ما يبدو لنا جلياً في "ظمأى" فالصورة تتبعها صورة والحدث يتبعه حدث في تلك الومضة الإنسانية الحزينة التي اقتنصها " لوبه " من واقع الحياة . وصاغ منها "ظمأه" في لحظة " برزخية " فارقة تعيشها امرأة حطمها رحيل حبيبها فأضحت من بعده رفاة كائن بشري انقطعت صلته بالحياة لتعلق روحه بمن فارقها ذلك الذي كان يملأ عليها دنياها حباً وعشقاً واحتواءً بلغوا حد التماهي والذوبان والتوحد فكانا روحاً واحدة في جسدين ومنذ أن غادر أحد الجسدين الدنيا حاملاً معه نصف الروح أصبح النصف الآخر يعيش على خيال وذكرى النصف الراحل ويتحرى شوقاً للحظة لقاءه في الآخرة ..

على شرف إبداع " لوبه " أدعوكم لقراءة قصته القصيرة "ظمأى" ثم نستكمل حديث الطواف حولها ...

**********

**ظمأى**

في ليلةٍ أخرى من لياليها الباردةِ المكررةِ ، أمام المرآةِ هائمةً ، يخفتُ ضوءُ الحياةِ في روحِها ، تقطفُ عيناها بداياتِ الشيبِ ، ترمي بناظريها صفحةَ المرآةِ سابحةً فيها ، تغوصُ في أعماقِ عينيها ، تنتابُها الآلامُ ذاتها ، لا تغادرُ سماءها غيومُ الأسى الملبدةُ ، يتحجرُ الدمعُ في مقلتيها ، تتمزقُ روحُها أشلاءً ، في توقٍ تنتظرُ حضورَه ؛ ليعزفَ على أوتارِ حنينِها الجارفِ ، ويسكبُ في كبدِها عواطفَه ، ينسابُ في مسامعِها صدى صوتِه الحاني ، تناجيه في فراغِ الصمتِ بوجدانٍ تتقاذفُ شظاياه الملتهبةُ ؛ تحرقُ فؤادَها ، تثورُ حناياها شوقاً لعناقِه الدافئ ، يحرقُ مهجتَها جمرُ الحنينِ ، يؤرقُها لظى الاشتياقِ ، ليتهشمَ ما تبقى في ضلوعِها المحطمةِ ، تناجي طيفَه دونَ جدوى ، يضاجعُها الأنينُ وألمُ الفراقِ ، تضيعُ في دوامةِ القدرِ ظمأى ، لا يروي عينيها لقاءٌ ، يدقُ نبضُها عظامَ الضلوعِ ، ترنو للأفقِ ، ترهفُ السمعَ ، تتبعُ قوافلَ الصمتِ في دروبِ حياتِها القاحلةِ وسطَ عواصفِ الحرمانِ المبعثرةِ ، يقتلُها ظمأُ الانتظارِ ، تتعجلُ اللقاءَ ...

رؤوسٌ تتلاصقُ ، عيونٌ تتفحصُ ، همهماتٌ تتشابكُ :

- إنه جسدٌ قد فارق الحياةَ ..

*********

بداية كاشفة للحالة النفسية الإنسانية التي استغرقت " المرأة " موضوع القصة تنتهي جملتها الأولى بمفردة " المكررة " ثم يتبع تلك البداية ما يؤكدها من ديناميكية الفعل المضارع وأثرها في تصاعد مشهدية الأحداث المتوازية مع الصورة الشعرية الناقلة للفيلم التسجيلي لمسرح " اللحظة البرزخية المعاشة " التي تمخضت عن ثلاثين فعلاً مضارعاً بدأت بهم مشاهد تلك الأحداث (يخفف/ تقطف/ ترمي/ تغوص/ تنتابها/ تغادر/ يتحجر/ تتمزق/ تنتظر/ يعزف/ يسكب/ ينساب/ تناجيه/ تتقاذف/ تحرق/ تثور/ يحرق/ يورقها/ يتهشم/ تناجي/ يضاجعها/ تضيع/ يروي/ يدق/ ترنو/ ترهف/ تتبع/ يقتلها/ تتعجل/ تتشابك) حتى تصل للفعل الماضي (فارق) الذي يسدل الستار على اللحظة البرزخية لتلك المعاناة الدرامية المأساوية المغلفة بالرومانسية السوداء التي استطاع " لوبه " أن يجسدها بإبداعه من خلال لغة بسيطة مستساغة سهلة الاستقبال لمعظم شرائح القراء مستعيناً بعدسة تصويره التي اخترقت كوامن النفس البشرية المعذبة ورسمت أبعادها الظاهرة والباطنة بقدرة إبداعية رفيعة المستوى جعلت القارئ يتعايش معها ويشعر وكأنها حدثت معه ناهيك عن مهارة " لوبه " العليم بتكنيك القصة القصيرة كعمل أدبي نثري له خصائصه الفنية التي تميزه عن أترابه من أنماط النثريات الأدبية الأخرى بالتكثيف والإيجاز ووحدة الموضوع وفردية الأشخاص وسرعة التصاعد بالأحداث التي يستشعرها القارئ في الجمل القصيرة المتتابعة من البداية حتى النهاية دونما ملل ولا خلل . ليثبت لنا " لوبه " أنه قاص من طراز فريد متمكن من أدواته قابض على خيوط نمطه الأدبي الذي اختاره ليكون فارساً من فرسانه الحاجزين لأنفسهم مقعداً خاصاً بهم في فردوس القصة القصيرة .

.....

# قراءة نقدية لقصة " فرق توقيت "

كتب الأديب عبد اللطيف بن صغير – المغرب :

المصريون دائما وكانوا وسيبقون أساتذة العرب في الأدب والفنون انظروا معي إلى الأستاذ سمير لوبه كيف صنع الدراما بيسر وبدون عناء فيما لا يتعدى عشرة أسطر فتجد طبقا دسما من الدروس في كيفية تشكيل الحكي نسج الكاتب صورة واقعية صادمة مؤثرة تتماهي فيها كل الجماليات الفنية التي يمكن أن تضمها اقصوصة وأعطانا درسا جامعيا في كيفية نسج فن الحكي استمتعت وتأثرت ورأيت صورة درامية عالية الجودة وبسط الكاتب مشكلا موجودا في حياتنا وعالجه بتأثير كبير وحرفية عالية ما يسعني إلا الوقوف احتراما وأقول تعلمت منك يا أستاذ سمير شكرا جزيلا على إمتاعنا وتعليمنا

.....

الأديب السملالي المختار - المغرب :

يحتمي الكاتب سمير لوبه بلغة تغوص في المعنى والأثر. يرسم الأحداث بأسلوب غاية في الدقة كأنما نحن أمام لوحة واقعية لأسلوب حياة يجمع بين ضدين. بين حياة عوز وحياة تسلط ، بين بعدين أفقي مقهور وعمودي مسكون بالنرجسية القاتلة.

يبدأ الاستهلال بدمعات وانكماش وملابس بالية وتوسلات ومهانة سؤال. رؤية تجسد إلى حد بعيد عالم قهر الرجال أمام جبروت زمن لا يرحم وتنعدم فيه قيم الإنسانية. عالم تطغى فيه الفردانية ، وتداس فيه الكرامة ، ولو تعلق الأمر بما يوفر لجسد واهن ما يستقوي به على صقيع الأيام القاحلة ، أو ما تستدفئ به معدته.

ما أفظع أن يعامل الرجال بقسوة من طرف أشباه الرجال الذين لا يملكون من الإنسانية قطميرا. وما أقسى أن تنطفئ الذات بلون أخضر سيظل وجعا في أذهان من علت اصواتهم رفضا وبطشا . فكيف لغيمات داكنة أن لا تذرف أدمعها .

.....

كتب الناقد جبار القريشي - العراق

التهمت القصة القصيرة «فرق توقيت» لسمير لوبه كما يلتهم الطفل قطعة الحلوى، توقفت أمام عتبتها العنوان طويلا، علي أهتدي على كنه القصة قبل أن أغوص في تفاصيلها وأجول في منعطفاتها عملا بمقولة (الكتاب يقرأ من عنوانه )، غير أنني لم أهتدي إلى شيء ، ثم رحت أتنقل بنظراتي الهوينا بين سطورها، فكانت حروفها وتعابيرها مصاغة بطريقة شاعرية لذيذة، ينتابها الغموض بادئ الأمر ثم تتكشف أسرارها شيئا فشيئا، شخص يتخذ الرصيف وسيلة للعيش، يمسح نوافذ السيارات ليتصدق عليه الناس، وهذا الأسلوب أصبح عندنا مألوفا اليوم في العراق وفي الكثير من البلدان العربية، بسبب تراجع القدرة الشرائية لدى شرائح كثيرة في المجتمع لأسباب عديدة، الخلاصة هي تلخص العلاقة بين طبقة الأغنياء والفقراء، وتلك النظرة الفوقية الاستعلائية التي يتعامل بها الأغنياء مع الفقراء.

استطاع الكاتب أن يشدنا بأسلوبه من خلال سوق المفردات والتعابير الشفافة والتي وصف فيها الحدث والمكان، وكيف استطاع أن يشدنا بأسلوبه لنتابع معه أحداث القصة، من خلال وصفه الدقيق للأمكنة والأحداث بأسلوب جميل ودون إسهاب ، ليأخذنا إلى النهاية المتوقعة والتي كانت صادمة ومؤثرة،

كان النص بكل عناصره من حيث الصياغة والعنونة والتكثيف والحبكة والنهاية المثيرة واستخدام المفردة الرشيقة جميلا ورائعا.

فتحية كبيرة للأستاذ سمير لوبه على هذا الأسلوب الرائع والمميز .

.....

الأديبة إلهام خنفور - لبنان :

حقا ودون موارية قصة " فرق توقيت " للأديب المصري سمير لوبه من حيث بنيانها الفني كأنها لوحة تزهو بألوان الربيع ... متماسكة ...متناسقة ... متآلفة ... عنصر الدهشة والمفاجأة يتأبطنا بأكثر من مشهد ...حتى الصدمة لها وقع مريب ... القصة " لغة وحرفا وبنيانا واسلوبا " ومضمون خطاب ترفع لها القبعة .

.....

الأديب والناقد هشام صيام - القيس هشام - مصر :

نحن أمام عينة رمزية تحت المجهر لمجتمع يعج بأمثال هذا الرجل ، ليصبح رجل القصة هنا هو أداة التعريف بهؤلاء المهمشين ، قصة فرق توقيت للأستاذ سمير لوبه النص داهش يحمل مفارقات كثيرة في ثالوث لوني " اصفر ، احمر ، اخضر " حمل على عاتقه تفاصيل المشهد الذي لم يتعدى الطريق والرصيف وما يحيطه ، فاللون الاصفر ـ الوان دافئة ـ الذي يتمسك به عبر رمزية "الفوطة" هو تلك المساحة المهيضة الدافئة التي يحاول التشبث بها ليقتات فتات الحياة هي كل ما يملكه من سلاح ليقاوم تيار انسلال الروح في رمزية تناصية مع مهنة نراها كل يوم في دروب سيرنا ، ثم يأتي اللون الاحمر ـ لون التوقف في إشارات المرور ـ وهو من الألوان الدافئة ايضا ولكن التي تعبر عن الصراع ليدلف بالمتلقي في عباب المشهد الذي يحمل مكابدة الحياة من أجل لقمة العيش في تمكن بديع من الكاتب في نسج الإسقاط من مجرد استحضار لوني يضع القراء في معية التوتر ومحاولة سبر اللحظة مع دعاء خفي بالنجاح لهذا المهمش قد لا يظهر إن كان القارئ هو من يقود السيارة ويشعر بالتململ من هذا التوقف وهذا العابث بزجاج سيارته الفارهة ، ثم ختام لوني عقب رواء غير مكتمل لتلك النفس التي ترنو نحو بعض الشبع ولو لليلة واحدة ، ليظهر اللون الاخضر وهو لون النماء والخصب ولكنه يحمل حضورية ظاهرية للحزن تتولد في ذات المتلقي للوهلة الأولى عقب مشهد الدهس الذي تم التنويه عنه دون الولوج في التفاصيل عبر رمزية مكثفة شاهقة العروج ، ولكن بنظرة أعمق سنرى أن اللون الاخضر لم يتحرك من مكانه الذي وقر في عقلنا الجمعي بل حلق أكثر ليصبح لون الجنة التي ترنو لها أرواح الأبرياء ، فأتى لون معاودة القيادة والمسير الذي تحول من الحضور اللوني إلى المجسد البشري عبر التلويح بالجزء من الكل ـ يد ـ مع حلول لفظ " لطم " هنا نتوقف لنرى هذا المشهد الذي حمل بعد الاطلاع على الصورة نبرة المخلص ، ويكأن تلك الومضة اللونية التي تسببت في الدهس كانت هي سبيل الخلاص والولوج نحو الجنة المفقودة في واقعنا المؤلم ، والتي يظل ينتظرها المهمشين ، يؤكد هذا الانتظار تكرار لفظ الرصيف ، فالرصيف رمزية الانتظار وأيضا الأمان ، وبفقدان الأمان فهو انتظار قلق خائف تحيطه لعنات من حوله من أصحاب الجاه ـ باشا ، بك ـ والسلطان ،

القصة تحتمل كل التأويلات ، فهي لا تسقط على حال هذا الفقير المهمش بقدر ما تسقط على عموم وشمولية حالة مجتمع به الكثير من هذا المجهول غير المعرف .

.....

الأديب محمد مجيد حسين - سوريا :

قصة " فرق توقيت" لا بل فرق الأحاسيس للقاص المصري سمير لوبه ..

الأرصفة تخوننا في مضائق شتى ، فخيانة المشاعر للذات الإنسانية، والتي تظهر بشكل فاقع في روابي النصّ القصصي المُعنون " فرق توقيت ". ففرق التوقيت دلالة منفتحة على عدة مسارات دلالية، فهي قد تكون فرق ما بين الميلاد، والرحيل، وقد تكون ما بين المُتلقي، والكاتب، وما بين مجيء سيارة الإسعاف ومُغادرة أحدهم العالم ..

هنا فرق التوقيت ما بين ذلك المنكوب المُتنقل، وما بين الأرصفة باحثاً عن آخر الخيوط التي قد تربطهُ بالحياة ، ومرور تلك السيارة التي قضت على آخر أنفاسه، وهنا ثمة فارق آخر ما بين ماهية الإحساس فذاك الرجل الثري من ناحية يُداعب كلبهُ المدلل، ومن الجانب الآخر ينظر إلى دماء ذلك المنكوب ببرودة فظيعة، ويأمر من تحت إمرتهِ أن يُنظف الشارع من آثار الدماء، وكأنهُ يتحدث عن جامد تالف.

قصة " فرق توقيت" للقاص سمير لوبه نص كثيف الدلالة يطرح الشروخ المُتسعة في ظل الانحلال الأخلاقي عبر نسيج لغوي مُحكم ورصين يجذب المُتلقي الشغوف بدفء يُمكننا تلوينه بمعظم ألوان الطيف ..

.....

الأديبة حبيبة محرزي - تونس :

عندما يصبح الادب مرأة لمواجع المجتمع المضرج الما وجوعا وعريا فاعلم انك مسؤول ومكلف بمهمة . وهذا شأن الأديب سمير لوبه .

.....

الدكتورة هناء العامري - العراق :

تقاس جودة النص السردي بمدى تصويره لهموم مجتمعه وتعبيره عن الإنسان والصراع من أجل الحياة.

وهذا ما ذكره أبن خلدون في مقدمته ؛ " أن السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة "

فهذا يعني أن السيف جزء من المؤسسة السياسية والاجتماعية، ويساويه بالتأثير القلم، وقد توجهت الدول العظمى الى السلاح الناعم وهو القلم والفكر لتغير المجتمعات ومستوى الافكار والاخلاق، وهذا النص القصصي يسلط النافذة على البؤس المرافق للثراء والذي تعج به الطرقات والأرصفة، والذي اصبح يشوه منظرهم الانيق، منظر واجهات محلاتهم التجارية وسياراتهم الفارهة، وحيواناتهم المدللة، فكان العنوان " "فرق توقيت"

فرق التوقيت في إشارات المرور كان سببا في إنهاء حياته!

فرق التوقيت في اقتناص فرص الحياة كان سببا في بؤسه وتشرده!

فرق التوقيت في تواجده في هذه الحياة جعل منه مختلفا ولم يتشابه معهم في مأكله وملبسه أو في رحلة سنينه !

النص كشف نسبة التخلي عن المعروف، كشف القهر والمرارة،

وهي دعوى لإزالة تلك الفوارق المجتمعية والتعاون على توفير فرص العمل بما يليق بكرامة الانسان. أما من ناحية السرد، فالقصة متكاملة الاركان كتبها الأديب سمير لوبه بأسلوب وعبارات سردية محكمة.

.....

الأديب باسم عبد الكريم - العراق

جدلية "التمايز الطبقي" هي ثيمة القصة ، نجح فيها الكاتب في رسم صورتها الاجتماعية ( وهي وإن كانت مصرية مكاناً فهي عابرة للحدود عربياً ) بأسلوب واقعي وبلغة سردية فنية موفقة في تعالقها الدلالي بين مدقعية معيشة بطل القصة ( ممثل الطبقة الدنيا المسحوقة مادياً ) و ما يعبر عنها من إشارات مثل ( دَمعَاتُ الغَيْمِ /يَقبَعُ مُنكَمِشاً / يُصَارِعُ أمواَجَ الانتِظَارِ العَاتِيةَ/ كَومَةِ مَلَابِسِ بَالِيَةٍ / فلَا

تَكثرِثُ لتَوسلَاتِه / فوطَةٍ صَفرَاءَ / سَوَادُ مَهَانَةِ السُّؤَالِ / تَعوِي السَّيَارَاتُ / تَلتَهِمُ الإسفَلتَ بِنَهمٍ ...تَدمَعُ الغَيمَاتُ الدَّاكِنَةُ / يَقهَرُه الانتِظَارِ/ يَرحَلُ نَهَارٌ لَمْ تُعَانِقْه شَمْسٌ قَطْ / لِيَأتِيَ لَيلٌ فِي مَلابِسِ الحِدَادِ / تُبَعثِرُ الرِّيَاحُ أقدَامَ المَارَةِ / عَلَى الرَّصِيفِ ،وغيرها) ، كما كثافة رمزية ( ممثل الطبقة العليا الثرية) في خاتمة القصة ( وعَلَى بَابِ المحل يَقفُ مَالِكُه يُدَاعِبُ كَلبَه المُدَلَّلَ:

ـــ فليَخرُجْ أحَدُكمْ ليُنَظّفَ الرَّصِيفَ.

ـــ أمرُك مَعَالي البَاشَا.)

فالأديب سمير لوبه خلق تقابلاً ذكياً بين هوان أصحاب الطبقة الدنيا و لامبالية أصحاب الطبقة العليا درجة أن مداعبة كلب أصحاب الثانية لا يمنعه مداعبة الموت العبثي لأصحاب الأولى . القصة أعدها من الأدب الثوري

.....

الناقد سي مختار حمري - المغرب

فرق توقيت : عتبة نصية ذات بعد مكاني وزماني وهما بطبيعة الحال متلازمان دوما فتحديد التوقيت على كوكبنا يحدد بالموقع الجغرافي حسب الخطوط كما ان التواجد في مكان معين قد يكون في غير وقته او زمانه إضافة إلى أن ضبط التوقيت قد يكون غير صحيح ما قد يؤدي إلى حصول حوادث فما يفصل بيننا وبين الدول الغنية هو فقط فارق التوقيت هو جغرافيا ...

وبالتالي فقد تواجد الضحية حيث لا يجب أن يتواجد زمانيا ومكانيا فكانت الفاجعة فاجعتين المعاناة ، التشرد ، الظلم ، الجوع ، التهميش ....والموت على الأسفلت بأمعاء خاوية في لحظة أمل بعد أن ظفر بما يعادل وجبة غذائية من يد امرأة وهذا يوحي بأن المرأة أكثر تعاطفا بينما الرجال كانوا يطاردونه كأنه " كلب مجروب "

قصة احتمالية وقوعها في مجتمعاتنا عالية الاحتمال وبالتالي فهي تنطلق من الواقع وتعنى بمعالجته عبر رؤية للعالم من منظور اجتماعي معين يمثل وعي جماعة ينتمي إليها القاص ويستعمل طريقة فنية تعبر عن روح الجماعة ووجدانها الاجتماعي وهي أكيد تتألم بعمق لمثل هذه الظواهر الاجتماعية التي يكتوي بنارها المهمشون والمشردون

قصة واقعية بأحداث متسلسلة زمنيا كأنشودة ناي حزينة مؤثرة في المتلقي وهذا البعد أو هذه الغاية قد بلغها القاص بامتياز لكن لم يتم طرح بدائل أو حلول للظاهرة بل ترك الحبل على الغارب وهذا دوما شان القصص الواقعية تشخص دن حل او علاج

من حيث الأسلوب واللغة تم اعتماد الوصف التصويري للجسد من زوايا مختلفة وكأننا أمام كاميرا "سينمائية " اعتمد الحوار ليغير الإيقاع ويتجنب الرتابة وكان ناجحا جدا ، يتخذ القاص في مجال الرؤية السردية "موقف الرؤية " مع أو " الرؤية المصاحبة "

النسيج اللغوي للنص يتكون من جمل قصيرة مركزة ومكثفة موسومة بالتوتر وتأزم المواقف لكن تسهل عملية القراءة وتمتاز بالتشويق وسهولة متابعة الأحداث

يتخذ القاص كما أسلفنا موقف الشاهد " الرؤية المصاحبة " فهو يكتفي بالوصف الخارجي " العالم الخارجي " دون الغوص في العالم الداخلي " النفسي للضحية " ويركز على البعد الجسدي الخارجي والبعد الاجتماعي في صراعه المرير مع الشخصيات المعارضة من طبقة اجتماعية ميسورة وحاملة لفكر معين تنظر إلى المشردين نظرة دونية واعتبارهم قذارة يجب أن يلقى بها في مكبات النفاية

النص طافح بالجمل الشعرية الراقية المجاز / الاستعارات / الانزياح ...

الفكرة الأساسية في النص تركز على معاناة المهمشين المشردين وهي في واقع الحال تعبر عن سخط القاص من ما يتعرضون له من سوء المعاملة وتجاهل من طرف من بيدهم القرار .

هذا النص يذكرني كثيرا بـ " محمد شكري، ومحمد زفزاف وادريس الخوري ... وآخرون " ممن قضوا دهرا وهم يكتبون عن المهمشين والمشردين والحمقى والشاذين و....

نص رائع ممتع لغة وحبكة وإن كان موضوعه مؤلم وموجع

تحياتي وتقديري للقاص المتألق الأستاذ سمير لوبه

.....

الأديب والمسرحي لحجاب بو جمال - المغرب

كتابة سردية بمقومات إبداعية ماتعة ، ويتجلى ذلك في دقة التعبير في وصف أحداث مركزة في مكان لا يتجاوز أمتارا ( مكان إشارة المرور) وفي زمن مركب اختزله الكاتب في ثوان معدودات بين حركة إشارتين ضوئيتين متمثلتين في ( أخضر/ أحمر) ؛ وهي حركة روتينية لتنظيم حركة المرور في الشارع العام ، لكن تقسيم زمن الثواني المعدودات هذه جعل منه الكاتب انشطارا لأحاسيس ونفسية بطل القصة البئيس واضطرابها المستمر بين انطفاء الضوئين واشتعالهما ، بين توقف السيارات وانطلاقها ، فاشتعال الضوء الأخضر شؤم له وضياع فرص للحصول على دريهمات من بعض العابرين ، والضوء الأحمر بالنسبة له إشراقة أمل للتودد للمتوقفين بسياراتهم أمام لون منع المرور ، إنه زمن جد مركز بحركية مشحونة ومركبة تتأرجح بين الأمل والضياع ، بين اليأس والإصرار رغم الإقصاء والتهميش ، ورغم كيد الكائدين الذين يمارسون أقصى درجات القهر والتنكيل على بطلنا البئيس من قبل " الباشا " أحد طغاة البلد الساديين !

تحية لكاتبنا المبدع المميز سمير لوبه

.....

# الفهرس


| القصة | صفحة | القصة | صفحة |
|---|---|---|---|
| البداية | 8 | اسم مجرور | 46 |
| فرق توقيت | 10 | دموع القنديل | 48 |
| ظمأى | 13 | عنق الزجاجة | 52 |
| راجي عفو الخلاق | 15 | صاحب المقام | 55 |
| بئر ريان | 17 | البحر بيضحك ليه ؟ | 58 |
| الرحلة | 19 | فنجان شاي | 61 |
| بيرمثيوس صامدًا | 21 | مفتاح الشقة | 63 |
| حارة سد | 23 | الميدان | 66 |
| اغتراب | 25 | ربيع الفراشات | 68 |
| كيس سكر | 27 | بين قوسين | 70 |
| صعود وهبوط | 29 | أمانة عليك | 72 |
| السجادة الحمراء | 31 | البدلة الشركسكين | 75 |
| بائعة الورد | 33 | شهريار في المدينة | 78 |
| النورس الجريح | 36 | حضور وانصراف | 81 |
| البوصلة | 39 | تنين وأرانب | 83 |
| على هامش ألف ليلة | 41 | صندوق الدنيا | 86 |
| فريسكا | 43 | النهاية | 88 |